مقدمة

الحمد لله رب العالمين حمداً وافي نعمته ويكافئ مزيده ، الحمد لله ولي الحمد والثناء وأهل الكرم النعماء حمد مستمتع بدوام النعمة ومستوزع للشكر على جليل قسمه ومؤدٍ فرض محامده وآلائه ومستمد من فوائد كرمه ونعمائه ، وصلى الله على سيدنا محمد نبيه المكين ورسوله الأمين وعلى آله اللطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين وسلم وعظم مجد وكرم . وبعد :

فمنذ أن ألف أبوحيان أسير الدين محمد بن يوسف الأندلسي (654 هـ - 745 هـ) تفسيره العظيم (البحر المحيط) ، هذا التفسير الطلاب والعلماء ، خصوصاً في مباحثه النحوية واللغوية والبلاغية التي أهلته لاحتلال الصدارة بين تفاسير اللغويين من مظاهرها الإهتمام بهذه المباحث اللغوية أن تلاميذ أبي حيان ومعاصريه بدأؤوا في حياته يفردون هذه المباحث في كتب مستقلة ويعلقون عليها موافقين أومخالفين ، كان أبوحيان في البحر المحيط قد أكثر من مناقشة البقاء العكبري ابن عطية الزمخشري ، فإن أصحاب أبي حيان قد اتبعوا المنهج نفسه مع شيخهم ، فناقشوه وراجعوه وعارضوه .

سبب اختيار الموضوع:

قد دفعني إلى اختيار هذا الموضوع ، عدة أسباب أوجزها فيما يلي:

1) أن هذا الموضوع ذوصلة بكتاب الله العزيز وإعراب آيه وفي هذا خير عظيم إن شاء الله .

2) إنني ألفيت أبا حيان كثير التعقب لآراء الزمخشري النحوية ، وجدت مخطئاً هل خطأه أم إياه في أغلبها فأردت أن أتحقق من تلك الاعتراضات هل كان محقاً فيها ؟ وهل كان الزمخشري مبتدعا في آرائه أم متبعاً .

3) إن هذا الموضوع لون من ألوان المناقشة العلمية بين عالمين بارزين ولآرائهما النحوية قيمتها ، فدراسة آرائهما ونقدها فيه إثراء للدرس اللغوي والنحوي .

4) إن المسائل التي تعقب فيها أبوحيان الزمخشري تكاد تعم أبواب النحوكلها في ذلك شمولية احتاجها .

5) إن البحث في مثل هذا الموضوع يتيح للباحث أكبر قدر من التعمق في في الآراء النحوية ويعين على الغوص في دقائقها وخفاياها ويُلزم النظر في أدلتها وحججها ومراجعة مصادرها مما يساعد على بناء الناحية العلمية لدى الباحث.

6) أن أبا حيان من أبرز النحويين الذين أنجبتهم الأندلس في تاريخها عموماً ، ومن أشهر نحوييها في القرن الثامن خصوصاً ، وقد أسهم في الحركة العلمية بخاصة فيما يتصل باللغة والنحووالصرف والتفسير والأدب ، بنصيب وافر ، ولم يقف به الحد عند الكتابة والتأليف عن لغته ، بل كتب عن لغات أخرى

كالفارسية والتركية والحبشية ، ولم يترك فناً من الفنون التي عرفها عصره إلا وقد أسهم فيه بنصيب وافر .

أهمية البحث:

أهمية هذه الدراسة في أنها ستفيد (إن شاء الله) دارسي اللغة والبلاغة والتفسير والقراءات الملل والنحل والمذاهب الفقهية والطوائف .

مشكلة البحث:

مشكلة البحث تتلخص في اعتراض أبي حيان الأندلسي ورده لآراء عالم كبير ومشهور وهوالزمخشري فإلى أي أصاب إن كان صائباً أوأخطأ إن كان مخطئاً ؟ هل هذه المشكلة ؟

أهداف البحث:

(1) الوقوف على اعتراضات أبي حيان اللغوية والنحوية ومعرفتها

(2) محاولة الكشف عن الدوافع والأسباب التي أدت إلى عقب أبي حيان آراء الزمخشري

(3) معرفة الأسس المنهجية التي بنيت عليها الاعتراضات .

منهج البحث:

المنهج الذي اتبعته في هذه الدراسة هوالمنهج الاستقرائي ، فقمت باستقراء " البحر المحيط" واخترت منه بعض المسائل اللغوية والنحوية التي اعترض فيها أبوحيان على الزمخشري. كما استخدم الباحث المنهج الوصفي مستخدماً التحليل كأداة من أدواته وذلك بذكر مسألة الاختلاف بين أبي حيان والزمخشري ، ثم إيراد رأي الزمخشري فيها ومن ثم ذكر رأي أبي حيان ومن سبقه إلى ذلك ومن خالفه من علماء اللغة والنحو، ثم أخلص من ذلك كله التحليل والترجيح مستنداً في ذلك على ما وقفت عليه من آراء العلماء قديماً وحديثاً ملتزماً بالحياد والنظر إلى النص القرآني وقيام الأدلة والشواهد المؤيدة .

أسئلة البحث:

أهم الأسئلة التي تجيب عنها الدراسة هي :

- هل كل ما اعترض عليه أبوحيان كان مقبولاً ومحقاً فيه ؟
- هل كان الزمخشري متبعاً أومبتدعاً فيما ذهب إليه من آراء ؟
- ما الأثر العلمي والإضافة التي أخذتها اعتراضات أبي حيان على الزمخشري؟

حدود البحث:

تشمل الدراسة اعتراضات أبي حيان الأندلسي اللغوية والنحوية على الزمخشري في البحر المحيط .

هيكل الدراسة:

اقتضت طبيعة الدراسة أن يكون التبويب كالآتي :

هذه الدراسة عبارة عن فصول تتصدرها مقدمة تعقبها خاتمة

الفصل الأول : عنوانه التعريف بالزمخشري وأبي حيان ويتألف من مبحثين

المبحث الأول : التعريف بالزمخشري

المبحث الثاني : التعريف بابي حيان

الفصل الثاني، عنوانه اعتراضات صح فيها قول الزمخشري.

الفصل الثالث ، عنوانه اعتراضات صح فيها قول أبي حيان.

الدراسات السابقة التي أفاد منها الباحث :

من الدراسات السابقة التي أفدت منها في دراستي هذه ، وقف بي البحث على مؤلف بعنوان . المحاكمة بين أبي حيان وابن عطية والرمخشري . ومؤلف هذا الكتاب هوأبوزكريا يمحيى بن محمد بن محمد بن عبد الله الشاوي الجزائري [1] ، ولد بمليانة واقام مدة بمصر في عودته من الحج سنة 1074هـ ، ثم رحل إلى سورية والروم ومات في سفينة سنة 1096 هـ ، ونقل جثمانه إلى القاهرة .

تحدث الشاوي في مقدمته للمحاكمة وقال : الكتاب قصدت فيه جمع اعتراضات الإمام ذي البيان المشتهر بأبي حيان على ابن عطية ومحمود الزمخشري ، وأشير بالعين والزاي والحاء لابن عطية والزمخشري وأبي حيان .

وبدأ الشاوي محاكمته بذكر اعتراضات أبي حيان على الزمخشري وابن عطية في سورة الفاتحة والبقرة فآل عمران . . . وهكذا إلى سورة الناس حسب ترتيب السور وفق مجيء هذه الاعتراضات في البحر المحيط .

[1] - الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، ج 1 ، ص 360

الدراسة الثانية هي كتاب بعنوان (الدر المصون في علوم الكتاب المكنون) للسمين الحلبي ، عرض فيه اعتراضات شيخه أبي حيان على الزمخشري وناقش فيه مناقشة جيدة كما شهد بذلك ابن حجر العسقلاني إذ قال في ترجمته للسمين: " وله تفسير القرآن في عشرين مجلد رايته بخطة سماه الدر المصون وقد طبع الدر المصون بتحقيق د. أحمد الخراط" (أنظر الدرر الكامنة في أعيان الدولة الثانية ، الجزء 1 ص 361). والكتاب اشتمل على مناقشات عامة وأخرى خاصة بالزمخشري وأحياناً ينتصر لشيخه أبي حيان وتارة للزمخشري ، وفيه مواضع ينقل فيها للحلبي رأي صاحب الكشاف ثم يعقبه باعتراض أبي حيان دون تدخل أوإبداء رأي ومن أمثلة ذلك ما ذكره الحلبي عند قوله تعالى (وإذا قيل له اتق أخذته العزة بالإثم) [2]

الرسالة الثانية (أجوبة للسمين عن اعتراضات أبي حيان على مواضع في الكشاف) وهذه الدراسة لقنالي زاده علي بن أمر الله المعروف بابن الحنائي [3] (ت: 979 هـ) وهي رد على رسالة بدر الدين الغزي ونقض لها حيث تتبع فيها قنالي زاده المسائل العشر التي جردها الغزي وناقشه فيها ووقف بجانب السمين في انتصاره لصاحب الكشاف وقدم المؤلف لدراسة المسائل بمقدمة ترجم فيها الزمخشري وابن عطية وأبي حيان والسمين وعرف بالكشاف ، وذكر الذين تعرضوا له بالنقد والشرح .

[2] - سورة البقرة (206)
[3] - ينظر الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة د 1 ص 361

الزمخشري

ذكر المؤرخون أن الزمخشري هوأبوالقاسم محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي ، لقب بجار الله ، لانه جاور بمكة زماناً .

ولد بـ (زمخشر) في السابع والعشرين من رجب سنة (467 هـ) يقول الزمخشري : "وأما المولد فقرية من قرى خوازم مجهولة ، يقال لها زمخشر ، سمعت أبي قال :

اجتاز بزمخشر أعرابي فسأل عن اسمها واسم كبيرها ، فقيل له : زمخشر والرداد ، قال: لا خير في شر ورد ، ولم يلمم بها " [4].

وزمخشر . بفتح أوله وثانيه ، خاء معجمة ساكنة ، وشين معجمة وراء مهملة قرية جامعة من نواحي خوارزم ، وقال القفطي : سمعت بعض التجار يقول : أنها دخلت في جملة المدينة وأن العمارة لما كثرت وصلت إليها وشملتها ، فصارت من جملة محالها : وكان مولده في عهد السلطان ملك شاه السلجوقي ، وهوعهد ازدهرت فيه الآداب والفنون ولقيفيه العلماء والأدباء الرعاية والحماية بفضل وزير ه المعروف بحبه للعلم والعلماء .

نشأ الزمخشري في مسقط رأسه (زمخشر) ودرس به وتلقى بعض العلوم ثم رحل إلى (بخارى) للاستزادة من طلب العلم.

وكان الزمخشري شديد الذكاء ، متوقد الذهن ، جيد القريحة ، كثير الحفظ ، مكباً على الدراسة والإطلاع مما جعله إماماً كبيراً في علوم كثيرة ، فكان إمام في تفسير الحديث والفقه والنحووعلم البيان وغيرها من علوم اللغة .

[4] - معجم البيان ج 3 ص 147

وذكر المترجمون له أن إحدي رجليه سقطت وكان يمشي في جارن خشب وسبب سقوطها كان في بعض أسفاره ببلاد خوارزم وأصابه ثلج كثير وبرد شديد في الطريق ويقول ابن خلكان راوي الخبر : "والثلج والبرد كثيراً ما يؤثر في تلك البلاد وخاصة خوارزم فإنها في غاية البرودة"[5] .

ويذكر المؤرخون أن الزمخشري كان في مطلع حياته طموحاً يأمل أن ينال المكانة التي تكافئ علمه وأدبه وذكاءه وأن ينال من المال ما يكفل له رغد الحياة كما نال غيره ممن هم دونه مقدرة وكفاية فعمد إلى مدح أمراء السلاجقة بغية أن يحقق ما أراد ، ولكنه أخفق في ذلك.

ظل الزمخشري يخلبه بريق السلطة والجاه وهويمدح الحكام والوزراء وهويطلب بغيته حتى مرض مرضته الشديدة التي وصفها الناهكة والمنذرة سنة (512 هـ) فثاب إلى رشده ورجع إلى نفسه وعاهد الله أن أكرمه ومن عليه بالصحة والا يطأ عتبة سلطان وأن يربأ نفسه ولسانه عن مديحهم وأن يعكف على التأليف والتدريس .

فلما شفاه الله اتجه إلى بغداد وناظر به وسمع من علمائها ثم يمم نحومكة راجياً العفومن الله عما فرط منه ، عازماً على مجاورة البيت العتيق.

[5] - وفيات الأعيان ، لابن خلكان ج 4 ص 255

وفي مكة التقى بأميرها أبي الحسن علي بن حمزة بن وهاس الشريف الحسني وكان ذا فضل وعلم ، فرحب بالزمخشري وعرف فضله وأفاد منه .

أقام الزمخشري بمكة نحوسنتين مشتغلاً بالتأليف والتصنيف والتدريس ، فتحلق حوله فتيان مكة وقصدته طلبة العلم من أقطار كثيرة ويأخذون منه ويفيدون من علمه وأدبه ، ولكن حب الوطن أخذ ينازعه فغادر مكة وعاد إلى وطنه ، وما أن يتحرك الركب يندم على ما قرر ويضعف في نفسه شوق العودة إلى وطنه ويصل الزمخشري إلى وطنه فاتر الهمة يخشى أن يستبدل الذي هوأدنى بالذي هوخير ويقول في ذلك :

أبتــاع بالشوق الخسارة واستبدل الدنيا الدنيـة بالأخرى

إذا خطرت بالبال ذكر إناختي على حرم الله استفزتني الذكرى

ولم يحتمل الزمخشري الحياة بعيداً عن مكة فيقرر العودة إليها ، وفي طريقه إليها يعرج على الشام فيمدح صاحب دمشق ، ثم يواصل رحلته إلى مكة ويتحقق حلمه ويبقى بها ثلاث سنوات يلقي فيها من ابن وهاس من الحفاوة والتعظيم لا ويتفرغ للتأليف ويؤلف بمكة مؤلفاته وأشهرها ، ومرة ثانية يشتاق إلى وطنه (خوارزم).

فيسافر إليها وفي طريقه يغشى بغداد سنة (533 هـ) ثم يواصل رحلته إلى خوارزم ويقيم بها إلى أن وافاه أجله ليلة عرفة سنة (538 هـ) بجرجانية على شاطئ جيحون.

اعتزاله:

أشارت كل التراجم بلا استثناء أن الزمخشري كان معتزلي الاعتقاد ، متظاهراً باعتزاله متشدداً بآرائه ، حتى نقل عنه أنه إذا قصد صاحباً له واستأذن عليه في الدخول يقول لمن يأخذ له الإذن : قل له أبوالقائم المعتزلي بالباب.

والطاهر أنه كان يتفاخر ويتباهى باعتزاله ، كيف لا ، وقد وصفه أحدهم بأنه كان كبير المعتزلة ، المتحقق به.

كان الزمخشري معتزلياً في الأصول (العقيدة) ، شافعياً في الفروع (الفقه) ، وكان يجاهر بمذهبه (الاعتزال) ويدونه في كتبه ، ويصرح به في مجالسه . وكان إذا قصد صاحباً له استأذن عليه في الدخول ويقول لمن يأخذ له الإذن : قل له : أبوالقاسم المعتزلي بالباب . وبذل الزمخشري مجهوداً كبيراً في تفسيره في سبيل تفسير الآيات القرآنية على مقتضى مذهب الاعتزال وأصوله الخمسة ، وهي : التوحيد ، والعدل ، والوعد , والوعيد والمنزلة بين النزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

مكانته العلمية:

يعتبر الزمخشري شخصية بارزة في عالم الفصاحة والبلاغة والأدب والنحو، نتلمس ذلك جلياً في مصنفاته وآثاره من جهة ، ومن إطراء وتبجيل كل من ترجم له من وجهة أخرى . يقول القفطي : وذكره صاحب الوشاح . ذكره بألقاب وسجع له على عادته . قال : "أستاذ الدنيا ، فخر خوارزم ، جار الله العلامة أبوالقاسم محمود".

الزمخشري من أكبر الأمة ، وقد ألقت العلوم إليه أطراف الأزمة ، وأنفقت على إطرائه الألسنة ، وتشرفت مكانه وزمانه الأمكنة والأزمنة ، ولم يتممكن من دهره واحد من جلاء رذائل النظم والنثر ، وصقال صوارم الأدب والشعر ، إلا بالاهتداء بنجم فضله والاقتداح بزند عقله ، ومن طار بقوادم الانصاف وخوافيه ، علم أن جواهر الكلام في زماننا هذا من نثار فيه ، وقد ساعده التوفيق والإقبال ، وساعفته من الزمان الماضي والحال ، حتى اختار لمقامه أشرف الأماكن ، وجمع بجوار بيت الله الحرام بين الفضائل والمحاسن ، وودع أفراس الأمور الدنياوية ورواحلها ، وعاين من بحار الخيرات والبركات سواحلها ، وقد صغر في عيون أفاضل عهده ما رأوه رووه ، وملك في قلوب البلغاء جميع ما رعوه ووعوه وإن كان عدد أبياته التي ذكرتها قلالاً فكماله صار عليها دليلاً [6].

[6] ـ إنباه الرواة ج 3 ص 268

ولما قدم الزمخشري إلى بغداد قاصداً الحج زاره الشريف أبوالسعادات هبة الله بن الشجري مهنئاً له بقدومه فلما جلس إليه أنشده متمثلاً :

كانت مسألة الركبان تخبرني عن أحمد بن دواد أطيب الخبر

حتى التقينا فلا والله ما سمعت أذني بأحسن مما قد رأى بصري

وأنشد أيضاً :

فلما التقينا صغر الخير الخُبْر[7] واستكبر الأخبار قبل لقائه

وكان الزمخشري من يضرب به المثل في علم الأدب والنحوواللغة [8] ،وما دخل بلداً إلا واجتمعوا عليه وتتلمذوا له ، واستفادوا منه ، وكان علامة الأدب ، ونسابة العرب تضرب إليه أكباد الإبل وتحط بفنائه رحال الرجال ، وتحدي باسمه مطايا الآمال [9]. وقال ياقوت : كان إماماً في التفسير والنحوواللغة والأدب ، واسع العلم كبير الفضل متفنناً في علوم شتى[10] . ولا نريد الإطالة في سرد العبارات الواردة في مدح المصنف والثناء عليه ، ففي ما

شيوخه:

[7] ـ معجم الأدباء 19 : 128
[8] ـ الأنساب 6 : 297
[9] ـ طبقات المفسرين للسيوطي : 105 ، أدباء الرواة 3 : 266
[10] ـ معجم الأدباء ج 19 ص 123

تتلمذ الزمخشري على يد كثير من علماء عصره من أشهرهم:

(1) أبومضر محمود بن جرير الضبي الأصفهاني: كان يلقب بـ (فريد دهره ووحيد عصره) في علم اللغة والأدب والنحومضروباً به المثل في أنواع المكارم والفضائل . أخذ عنه الزمخشري اللغة وتأثر بمذهبه الاعتزالي الذي أدخله إلى خوارزم . وكان أبومضر صديقاً لنظام الملك الطوسي . وقد أحس أبوالفضل في تلميذه النجابة والذكاء وحدة الذهن ، فتعهده بالمال والعلم والرعاية ، وقد أحب الزمخشري أستاذه حباً جماً ، وحرص على ملازمته والأخذ عنه ، وحضور حلقات درسه ، فلما توفي سنة (507 هـ)حزن عليه الزمخشري حزناً عظيماً وقد تجلى ذلك في رثائه له .

(2) أبوبكر عبد الله بن طلحة بن محمد بن عبد اليابري الأندلسي : من أهل يابرة من بلاد الأندلس ، نحوي أصولي فقيه ، قرأ عليه الزمخشري بمكة كتاب سيبويه ، توفي سنة (518 هـ) .

(3) الشيخ السيد الخياطي ، أخذ عنه الفقه.

(4) ركن الدين محمد الأصولي ، تلقى عنه أصول الدين وتعلم عنه التفسير أيضاً .

تلاميذه:

1) أبوالحسن علي بن محمد بن علي بن أحمد بن هارون العمراني الخوارزمي . الملقب بـ (حجة الأفاضل) و(فخر المشايخ) ، تلقى الأدب عن الزمخشري حتى صار أكبر أصحابه وأوفرهم حظاً من غرائب اللغة ، تلقى الحديث عن الزمخشري وعمروالترجماني والباقر جي وغيرهم . وقد كان مولعاً بالسماع ، معتزلي المذهب كالزمخشري ، وله مؤلفات منها المواضع والبلدان ، واشتقاق الأسماء والمواضع ، توفي سنة (560 هـ).
2) يعقوب بن علي بن محمد بن جعفر البلخي الجندلي : وهوأحد العلماء البارزين في النحووالأدب ، أخذ عن الزمخشري ، ولزمه.
3) أبوبكر الأزدي القرطبي : نزيل الموصل ، وشيخها ، توفي سنة (567 هـ).
4) علي بن عيسى بن حمزة بن وهاس : قرا على يد الزمخشري.

ثناء العلماء عليه:

وقد اشتهر الزمخشري في عصره ، ومدحه الشعراء والأدباء ، وطلب العلماء أن يعطيهم الإجازة في رواية كتبه . ومن لطيف ذلك أن الحافظ أبا الطاهر السلفي كتب إليه من الأسكندرية يستجيزه ، وكان الزمخشري مجاوراً بمكة ، فكتب إليه جواباً طويلاً

يقول في مطلعه : (ما مثلي مع أعلام العلماء إلا كمثل السُها (نجم صغير) مع مصابيح السماء .. والجهام الصفر والرهام (المطر الخفيف) مع الغوادي (المطر الغزير) الغامرة للقيعان والآكام ، والسُكيت المخلف مع خيل السباق ، والبُغاث (طائر صغير) مع طير العناق . . وما التلقيب بالعلامة ، إلا شبه الرقم بالعلامة . . والعلم مدينة أحد بابيها الدراية، والثاني الرواية ، وأنا في كلا البابين ذوبضاعة مزجاة ، طلي فيها أقلص من ظل حصاة ، أما الرواية فحديثة الميلاد قريبة الإسناد ، لم تستند إلى علماء نحويين ولا إلى أعلام مشاهير ، وأما الدراية فقد لا يبلغ أفواهاً ، وبرض (الماء القليل) ما يبل شفاهاً . ولا يغرنكم قول فلان وفلان في ... (وعدد قوماً من الشعراء والأدباء) ؛ فإن ذلك اغترار منهم بالظاهر المموه ، والجهل بالباطل المشوه . .) (2)

الزمخشري إمام كبير في الحديث ، والتفسير ، والنحو، والبلاغة . وصاحب تأليف عظيمة في كل ذلك ومن مؤلفاته:

- في اللغة والبلاغة : رغم لاأن الزمخشري كان فارسياً إلا أنه كان يفضل اللغة العربية وألف فيها تآلييف غينة ، جاء في دائرة المعارف البريطانية (3) في مادة الزمخشري : رغم أن بعض أعماله بالفارسية ، إلا أنه كان من المؤمنين بتفوق اللغة العربيةومن المعارضين للشعوبية ومن مؤلفاته في اللغة : أساس البلاغة ،

والمستقصي في الأمثال والفائق في غريب الحديث ، ومقدمة في الأدب ، وهوقاموس من العربية والفارسية .

- في النحو: المفصل ، والأنموذج ، والمفرد المؤلف.
- في الحديث : مشتبه أسامي الرواة.
- في التفسير : تفسير الكشاف المشهور.
- في الفقه : الرائض في علم الفرائض.
- في الزهد : أطواق الذهب في المواعظ وكتاب النصائح.
- في الجغرافيا: كتاب الأمكنة والجبال والمياه .

رحل الزمخشري في طلب العلم ، وأخذ الأدب عن أبي مضر محمود بن جرير الضبي الأصبهاني وأبي الحسن وأبي الحسن المظفر النيسابوري ، وفي رحلته إلى بخارى سقط عن دابته فكسرت رجله (وقيل بل آلمها البرد في خوارزم ، وقيل بل ظهر فيها خرج) فاضطر إلى قطعها واتخذ رجل خشب (2).

ذهب الزمخشري في أواخر أيامه إلى الحج بطريق بغداد فلقي في بغداد الشريف أبا السعادات هبة الله بن الشجري ، وكانت قد عظمت شهرته ، فقرظ كل واحد منهما

صاحبه ، وفي مكة جاور (سكن) الزمخشري مدة فاكتسب لقبه (جار الله) حتى أصبح اللقب علماً عليه.

ورحل في سبيل طلب العلم إلى بخارى وإلى بغداد وجاور بمكة حقبة طويلة نشط فيها لتصنيف تفسيره للقرآن المسمى بالكشاف ودرس حينئذٍ كتاب سيبويه على أحد علماء الأندلس النابهين على نحوما سنعرف في حديثنا عن نحاة الأندلس وتكاثرت تصانيفه منذ هذا الحين . وعاد إلى موطنه وشهرته قد ملأت الآفاق والطلاب يفدون عليه من كل صوب وحدب يأخذون عنه معجبين ومكبرين حتى اختاره الله لجواره في سنة (538 هـ) وهويسلك في المعتزلة وفي علماء التفسير الأفذاذ وأئمة اللغة والنحو ومعجمه (أساس البلاغة) مشهور(3)

وكانت وفاة الزمخشري في قصبة خوارزم (الجرجانية) ليلة عرفة (9 ذي الحجة) من سنة (538 هـ) منتصف تموز ، يوليوسنة 1144 م.

ما نسب إليه من شعر:

ومما نسب من أشعار قوله

يا من يرى مد البعوض جناحها في ظلمـة الليل البهـيم الأليل

ويرى مناط عروقها في نحرها والمخ من تلك العظــام النحل

ويرى خرير الدم في أوداجها متنقلاً من مفصل في مفصل

ويرى وصول إذا الجنين ببطنها في ظلمة الأحشاء بغير تمقل

ويرى مكان الوطء من أقدامها في سيرها وحثيثها المستعجل

ويرى بسمع حس ما هودونها في قاع بحر مظلم متهول

أمنن علي بتوبة تمحوبها ما كان من في الزمان الأول

يقول الزمخشري:

إذا سألوا عن مذهبي لم أبح به وأكتمه كتمانه في أسلم

فإن حنفياً قلت قالوا بأنني أبيح الطلى وهوالشراب المحرم

وإن شافعياً قلت قالوا بأنني أبيح نكاح البنت والبنت تحرم

وإن مالكياً قلت قالوا بأنني أبيح لهم أكل الكلاب وهم هم

وإن قل من أهل الحديث وحزبه يقولون تيس ليس يدري ويفهم

وفاته:

توفي الزمخشري بعد رجوعه من مكة ليلة عرفة من سنة (538 هـ) في جرجانية خوارزم وهي على شاطي جيحون ، وأوصى أن تكتب على لوح قبره قوله:

يا من يرى مد البعوض جناحها في ظلمـة الليل البهـيم الأليل

ويرى مناط عروقها في نحرها والمخ من تلك العظــام النحل

أغفـر لعبـد تاب من فرطاته ما كان مـنه في الزمــان الأول

أبوحيان[11]

اشتهر أبوهومحمد بن على بن يوسف بن حيان الغرناطي أثير الدين أبوحيان الأندلسي الحياني النفزي. ولد في أواخر شوال سنة 654 هـ في (َطَحْشَارِش) محلة من حاضرة غرناطة .

حيان بكنيته وغلبت عليه هذه الكنية ولازمته وهي ترجع إلى ولده (حيان).

تلقى علومه الأولى في مدارس ومساجد غرناطة كأبناء عصره في ذلك الوقت ، واتصل بشيوخ بلده وأخذ عنهم في مختلف العلوم ، وتنقل في بلاد الأندلس كملقة والمرية طلباً للعلم والتقى على الشيوخ.

ولم يطل المقام بأبي حيان في الأندلس ؛ إذ حدث له ما أوجب الرحيل عن بلده ، فغادرها سنة 679هـ . واختلف المؤرخون في سبب رحيله عن الأندلس فقيل: (كان سبب رحلته عن غرناطة أنه حملته حدة الشبيبة على التريض للأستاذ أبي جعفر بن الطباع ، وقد قدمت بينه وبين أستاذه أبي جعفر بن الزبير واقعة فنال منه تصدي

[11] / ينظر ترجمته في المصادر التالية : الوافي بالوفيات للصفدي ، ج 5 ، ص 267 ، 290 ، الدرر الكامنة ، لابن حجر ج5 ص 70 ، 76 ، بغية الوعاة للسيوطي ج1 ص 280 ، 285 طبقات المفسرين للداودي ج2 ص 286 291 ، ، البدر الطالع للشوكاني ج2 ص 288 ، 291 ، الأعلام للزركلي ج8 ص26 ، (أبوحيان النحوي) حديجة الحبشي ص 29 - 61

التأليف في الرد عليه وتكذيب روايته فرفع أمره إلى السلطان فأمر بإحضاره في وتنكيله ، فاختفى ثم ركب البحر ، ولحق بالمشرق)[12] .

ويقول السيوطي : (ورأيت في كتابه "النصار" الذي ألفه في ذكر مبدئه وانشغاله وشيوخه ورحلته أن مما قوى عزمه على الرحلة عن غرناطة أن بعض العلماء بالمنطق والفلسفة والرياضي والطبيعي قال السلطان : إني قد كبرت وأخاف أن أموت فأرى أن ترتب لي طلبة أعلمهم هذه العلوم ؛ لينفعوا السلطان من بعدي ز قال أبوحيان : فأشير إلى أن أكون من أؤلئك ويرتب لي راتب جيد وكساً وإحسان ، فتمنعت ورحلت مخافة أن أكره على ذلك)[13] وهكذا ودع أبوحيان الأندلس وهوشاب في الخامسة والعشرين من عمره متجهاً إلى المغرب العربي ، وأخذ يطوف ويتنقل في مدنها ويلتقي بعلمائها أمثال أبي القاسم المزياني وأبي عبد الله محمد بن عباس القرطبي ، وأبي عبد الله محمد بن صالح الكناني.

ولم يطب المقام لأبي حيان بين ظهراني المغاربة ، ولعله لم يرتاح لمعاملتهم كما توحي بذلك بعض أشعاره إذ يقول[14]:

وأوصاني الرضي [15] وصاة نصح وكان مهذباً و شهماً أبيا

---

[12]/ ينظر الدرر الكامنة لابن حجر ج1 ص71

[13]/ بغية الوعاة ، ج1 ص281

[14]/ ينظر ديوان أبي حيان ص 486

[15]/ يعني محمد بن علي بن يوسف العلامة رضي الدين أبوعبد الله الأنصاري الشاطبي اللغوي (ت 684هـ) ، ترجم له السيوطي في بغية الوعاة 1/ 194 وقال في ترجمته له وإياه عني أبوحيان يقول : وأوصاني الرضي .. وذكر البيتين السابقين.

بأن لا تحسنن ظناً بشخصٍ ولا تصحب حياتك مغربياً

فغادر أبوحيان بلاد المغرب واتجه إلى مصر التي أصبحت بعد سقوط بغداد على يد المغول وسقوط معظم بلاد الأندلس في أيدي المسيحيين الأسبان مأرز العلماء وملجاً الأدباء .

وكانت مصر حين دخلها أبوحيان تحت حكم المماليك الذين استطاعوا أن يصدوا هجمات المغول على مصر والشام وأن يؤسسوا من الإقليمين دولة لها كبير الأثر في الحفاظ على التراث الإسلامي العربي.

وفي مصر ألقى أبوحيان عصا الترحال، فأقبل على العلم وجالس العلماء وأخذ عنهم ولازم الشيخ بهاء الدين بن النحاس فسمع عليه كثيراً من كتب الأدب، وأكب على طلب الحديث وأتقنه وبرع فيه وفي التفسير، والعربية، والقراءات والتاريخ.

واشتهر اسمه وطار صيته وأخذ عنه أكابر عصره .

وكان لأبي حيان حظوة عند سلاطين مصر وأ،مرائها وحكامها فعين مدرساً في مدراس القاهرة وأصبح مدرس النحوفي جامع المحاكم سنة 704 هـ . وتولى تدريس التفسير بالمنصورية , والقراءات بجامع الأقمر , ولما توفي ابن النحاس شيخ العلماء في القاهرة خلفه أبوحيان وجلس مكانه .

وهكذا استوطن أبوحيان القاهرة يدرس ويؤلف إلى أن وافاه بها الأجل عصر يوم السبت الثامن و العشرين من صفر سنة 745 هـ ، ودفن بمقبرة الصوفية خارج باب النصر . رحمه الله . .

شيوخه :

لم يشتهر أحد من النحاة بكثرة الشيوخ كما اشتهر أبوحيان ، وقد ساعدت ظروف أبي حيان وتنقلاته في بلاد الأندلس والمشرق على الإكثار من الشيوخ والقّي عنهم ، وكان أبوحيان يفخر بكثرة شيوخه وينتقص من يأخذ العلم بنفسه عن الكتب ولم يأخذه تلقياً من أفواه الشيوخ .

وقد أراح أبوحيان المترجمين له من عناء البحث عن شيوخه وتقصيهم، إذ ذكرهم هوفي إجازته المشهورة لتلميذه صلاح الدين الصفدي , فيقول في إجازته الصفدي: " قد أجزت لك . أيدك الله . جميع ما رويته عن أشياخي بجزيرة الأندلس وبلاد أفريقيه وديار مصر والحجاز وغير ذلك , ... فمن مروياتي الكتاب العزيز قرأته بالقراءات السبعة على جماعة , من أعلاهم الشيخ السند المعمر فخر الدين أبوالطاهر إسماعيل بن هبة الله بن علي بن هبة الله المصري ابن المليجي آخر من روى القرآن بالتلاوة عن أبي النجود " [16]

[16]/ ينظر الوافي بالوفيات ج5 ص 277

ثم ذكر أبوحيان شيوخه الذين روى عنهم بالسماع أوالقراءة ، وقال "إنهم كثير " وذكر من عواليهم ثلاثة وثلاثين شيخاً ذكرهم بأسمائهم . ثم ذكر من كتب عنهم من مشاهير الأدباء فذكر منهم اثني عشر أديباً .

ثم ذكر من أخذ عنهم من النحاة فقال: "وممن أخذت عنه من النحاة أبوالحسن علي بن محمد بن عبد الرحمن الخُشني الأّبذي ، وأبوالحسن على بن محمد بن على بن يوسف الكتامي بن الضائع ، وأبوجعفر أحمد إبراهيم بن الزبير بن محمد بن الزبير الثقفي ، وأبوجعفر أحمد بن يوسف الفهدي اللبلي ، وأبوعبد الله محمد بن إبراهيم بن محمد بن نصر الحلبي بن النحاس" [17]

واختتم أبوحيان ذكره لشيوخه بقوله : "جملة الذين سمعت منهم نحوأربعمائة شخص وخمسين ، وأما الذين أجازوني فعالم كثير جداً من أهل غرناطة وملقة وسبتة وديار إفريقيه وديار مصر والحجاز والعراق والشام" [18]

تلاميذه:

كان أبوحيان . كما وصفه السيوطي . نحوي عصره ولغويه ومفسره ومحدثه ومقرئه ومؤرخه وأديبه.

[17] / المصدر السابق ، ج 5 ص 279
[18] / ينظر الوافي بالوفيات ، ج 5 ، ص 280

فلا غرابة أن يتزاحم عليه الناس للأخذ عنه وقد سعد أبوحيان بتلاميذه أذكياء صاروا أئمة وأشياخاً في حياته ومن أشهر تلاميذه :

1/ السمين الحلبي : أحمد بن يوسف بن عبد الدائم بن محمد الحلبي (ت: 756هـ)

2/ ابن عقيل : عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محممد بن عقيل القرشي الهاشمي (ت: 769هـ)

3 / ابن هشام : عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري ، (ت:761هـ)

4/ المرادي : الحسن بن قاسم بن عبد الله بن المرادي المصري المولد ، المعروف بابن أم قاسم (749هـ)

5 / تقي الدين السبكي : علي بن عبد الكافي بن تمام بن يوسف بن موسى ين تمام بن حامد بن يحيى السبكي ، (ت: 755هـ)

6 /صلاح الدين الصفدي : المؤرخ الشاعر أبوالصفاء خليل بن أبيك صلاح الدين الصفي (ت: 764هـ)

7/ ابن مكتوم : تاج الدين أحمد بن عبد القادر بن أحمد بن مكتوم ، (ت: 749هـ)

8/ الإسنوي: عبد الرحيم بن الحسن بن علي بن عمر بن علي بن إبراهيم الأموي الإسنوي ، (ت: 772هـ)

9/ السفاقسي: إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن أبي القاسم القيسي المالكي العلامة برهان الدين أبوإسحاق ، (ت: 742هـ)

وغير هؤلاء خلق كثير لا يتسع المقام لذكرهم ، وقد أخصت الدكتورة : خديجة الحديثي كثير منهم وترجمت لهم في كتابها (أبوحيان النحوي).

مؤلفاته:

اتسمت حياة أبي حيان بالجدية ، يقول عنه تلميذه الصفدي : "لم أَر في أشياخي أكثر اشتغالاً منه ؛ لأني لم أره إلا يسمع أويشتغل أويكتب ولم أره على غير ذلك" [19] . فكان نتاج ذلك أن ألف كتباً قيمة في مختلف العلوم ، ولم يقف به الحد عن التأليف بالعربية ، بل ألف كتباً في التركية والفارسية والحبشية.

ومؤلفاته تزيد عن خمسين مؤلفاً استقصتها الدكتورة خديجة الحديثي ذاكرة المخطوط والمطبوع والمفقود منها في كتابها (أبوحيان النحوي) [20] ثم إنه ذُكر بعض مؤلفات أبي حيان بعد أن أخرجت د. خديجة كتابها ، ولذا سأكتفي بذكرالمطبوع من مؤلفات أبي حيان وما عداه يرجع إليه في كتاب د. خديجة.

[19] / ينظر الوافي بالوفيات ، ج5 ص267

[20] / ينظر ص 101 -

وإليك مؤلفات أبي حيان المطبوعة :

1. البحر المحيط : وهوأكبر كتب أبي حيان الدينية ، وكان أبوحيان نفسه يسميه (الكتاب الكبير)ويقع في ثمانية أجزاء وقد طبع في مصر سنة 1328هـ ، بمطبعة السعادة
2. النهر الماد: وهومختصر البحر المحيط ومطبوع بهامشه.
3. التذييل والتكميل في شرح التسهيل . وقد حقق في رسائل علمية ولم تنشر ، وطبع منه قطعة صغيرة سنة 1328هـ بمطبعة السعادة بمصر
4. ارتشاف الضَّرب من لسان العرب: طبع في ثلاثة أجزاء بتحقيق د. مصطفى أحمد النحاس.
5. المنهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك : وهومن كتب أبي حيان التي لم يتمها . وقد طبع الكتاب في الولايات المتحدة سنة 1947م ، تحقيق سدني جلزر.
6. تقريب المقرب: نشرته دار المسيرة ببيروت سنة 1983م بتحقيق د. عفيف عبد الرحمن.
7. تذكرة النجاة : نشرته مؤسسة الرسالة ببيروت 1406هـ بتحقيق دزعفيف عبد ارحمن

8. تحفة الأديب بما في القرآن من الغريب : طبع ثلاث مرات.

الأولى : سنة 1345هـ في مطبعة الإخلاص بحماة ، وقد أشرف على طبعه وعلق عليه الشييخ / محمد سعيد النعساني.

الثانية: سنة 1397 هـ ، في مطبعة العاني ببغداد ، تحقيق د. أحمد مطلوب ، ود. خديجة الحديثي.

الثالثة: سنة 1403 هـ ، نشره المكتب الإسلامي ببيروت ، بتحقيق سمير طه المجذوب.

9. المبدع في التصريف: طبع مرتين:

الأولى سنة 1402هـ عن مكتبة دار العروبة ، بتحقيق د. عبد الحميد السيد طلب.

الثانية : سنة 1403هـ عن مكتبة الأزهر ، بتحقيق د. مصطفى أحمد النماس.

10. الارتضاء في الفرق بين الضاد والظاء : طبع سنة 1380هـ بمطبعة المعارف ببغاد بعناية الشيخ محمد حسن آل ياسين.

11. ديوان أبي حيان : طبع سنة 1388هـ بمطبعة العاني . بغاد ، تحقيق د. أحمد مطلوب ود. خديجة الحديثي.

12.الادراك للسان الأتراك: طبع في الاستانة سنة 1309هـ باسم "الادراك في لسان الأتراك"

أولاً – الضمير:

أ- جواز اتصال الضمير وانفصاله.

ب- إقامة "ال" مقام الضمير .

ثانياً . المبتدأ وما في حكمه :

أ- إعراب اسم الفاعل المعتمد على الاستفهام .

ب- من مسوغات الإبتداء بالنكرة .

ج- توجيه قوله تعالى : "والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما"

ثالثا . مناقشة الخبر :

أ- وقوع الظروف المقطوعة عن الإضافة أخباراً .

ب- الخلاف في وقوع خبر كان

ج- حذف خبر (لا أبرح)

رابعاً . الجملة :

أ- وقوع إن مع اسمها وخبرها خبراً لـ (إن) .

ب- نيابة الجملة عن الفاعل .

خامساً . الأفعال:

أ- تعدية الفعل (أظلم) .

ب- مجيء الفعل (درس)بمعني بلي متعدياً .

ج- عمل القول في المفردات.

أولاً .

جواز اتصال الضمير وانفصاله

قال تعالى : (قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ)[21]

قال الزمخشري : (أَنُلْزِمُكُمُوهَا) جئ بضميري المفعولين متصلين جميعاً ، ويجوز أن يكون الثاني منفصلاً كقولك : (أنلزمكم إياها) ونحوه (فسيكفيكم الله) [22] يجوز ، فسيكفيك إّياهم .

قال أبوحيان : "هذا الذي قاله الزمخشري من جواز انفصال الضمير في نحو: (أَنُلْزِمُكُمُوهَا) هونحوقول ابن مالك (التسهيل) ، قال : (ونختار اتصال نحوهاء أعطيتكه) قال أبي الربيع [23] : إذا قدمت ما له الرتبة اتصل لا غير ، تقول : أعطيتكه ، قال تعالى : (أَنُلْزِمُكُمُوهَا) وفي كتاب سيبويه ما يشهد له ، قال سيبويه [24] : فإذا كان المفعولان اللذان تعدى إليهما فعل الفاعل مخاطباً وغائباً فبدأت بالمخاطب قبل الغائب

---

[21] / سورة هود ، الآية 28

[22] / سورة البقرة ، الآية 127

[23] هوأبوالحسين عبيد الله بن أحمد بن عبيد الله بن محمد بن عبيد الله بن أبي الربيع القرشي الأموي العثماني : إمام أهل النحوفي زمانه ، قرأ النحوعلى الدباج الشاوبين ، وصنف : شرح الإيضاح ، الملخص ، القوانين

[24] ينظر قول سيبويه في الكتاب ج 2 ص 364 /4

فإن علامة الغائب العلامة التي لا يقع موقعها إياه ، وذلك قولك : أعطيتكه وأعطاكه قال تعالى : (أُنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ) فهذا كهذا إذا بدأت بالمخاطب قبل الغائب)

فهذا نص من سيبويه على ما قاله ابن أبي الربيع خلافاً للزمخشري وابن مالك ومن سبقهما إلى القول ذلك[25]

المناقشة والترجيح:

تعدى الفعل في قوله تعالى (أُنُلْزِمُكُمُوهَا) إلى ضميرين متصلين ، هما ضمير المخاطبين (كم) وضمير الغائبة (الهاء) . وقد تقدم الأعرف منهما : إذ أن ضمير الخطاب أعرف من ضمير الغيبة.

وفي مثل هذه الحالة يجوز عن جمهور النحاة أن يؤتى بالضمير الثاني متصلاً كما في الآية ويجوز أن يؤتى به منفصلاً نحو(أنلزمكم إّياها) ، وقد أجاز الزمخشري . كما رأينا . في الآية اتصال ثاني الضميرين وانفصاله ، وسبقه إلى إجازة ذلك أبوجعفر النحاس (ت 338هـ) ، قال عند قوله تعالى : "فسيكفيكهم الله" وكذا الفعل إذا تعدى إلى المفعول الأول قوي فجاز أن يأتي في الثاني متصلاً [26]

وتلاه الطوسي (ت 460هـ) فعند تفسيره لقوله تعالى :وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ) قال : "في قوله (أُنُلْزِمُكُمُوهَا) ثلاث مضمرات ضمير المتكلم وضمير المخاطب وضمير

---

[25] /5 البحر المحيط ج5 ص217

[26] / إعراب القرآن ج 1 ص 267

الغائب ، وهوأحسن ترتيب بدأ بالمتكلم لأنه أخص بالفعل ثم بالمخاطب ثم بالغائب ، ولوأتى بالمنفصل لجاز لتباعده من العوامل بما فرق بينه وبينه فأشبه ما ضربت إلا إياك وما ضربني إلا أنت" [27]

واستشهد ابن مالك في (شرح التسهيل) [28] لمجيء الضمير منفصلاً بقوله صلى الله عليه وسلم : (فإن الله ملككم إياهم ولوشاء لملكهم إياكم) [29] وضمير الغائبين في الحديث للأرقاء .

وأشار ابن مالك في الألفية إلى هذه القاعدة ،أعني جواز الاتصال والانفصال في ثاني ضميرين تعدى إليهما الفعل وقدم الأعرف منهما ويكون الفعل ناسخاً قال :

وصِل أوافصل هاء سلنه وما أشبهه .....

وشاعت هذه القاعدة عند شراح الألفية كابن عقيل وابن هشام والمرادي والأشموني وغيرهم ...

وقد أومأ أبوحيان في نصه السابق الذي نقلته في أول المسألة إلى معارضة القاعدة السابقة ومن ثم رأيناه ينقل رأياً لابن أبي الربيع يفيد إيجاب اتصال الضمير في مثل قوله تعالى (أُنُلْزِمُكُمُوهَا) ولا يجيز الانفصال فلا يقال أنلزمكم إياها.

ثم نقل أبوحيان كما رأينا نصاً لسيبويه يشهد لما قاله ابن أبي ا لربيع.

---

[27] / ينظر تفسيره (التبيان) ج5 ص474

[28] / ينظر ج1 ص 169

[29] / الشاهد في الحديث قوله (ملككم إياهم) حيث جاء الضمير الثاني منفصلاً ولوأوصل الأول لقال (ملككموهم) بفتح الكاف الأولى وضم الثانية

وما نقله أبوحيان عن سيبويه من أنه يوجب اتصال الضمير في مثل قوله تعالى (أُنُلْزِمُكُمُوهَا) صحيح ، ونقل النحاة مثله عن سيبويه ، يقول المرادي شارحاً بيت الألفية السابق : وصل أوافصل هاء سلنيه ....

والمراد بهاء سلنيه ما وقع ثاني الضميرين منصوبين بفعل غير ناسخ فيجوز فيه الاتصال والانفصال ، فتقول : سلنيه وسلني إياه ، والاتصال يرجح وإذا بدأ به ولم يأتِ في القرآن إلا متصلاً كقوله تعالى "إذ يريكهم الله" ولم يرد سيبيبويه غير الاتصال ويدل على جواز الاتصال قوله عليه الصلاة والسلام "إن الله ملككم إياهم ") [30] .

ويبدوأن السمين الحلبي سها حين نقل عن سيبويه إجازة انفصال الضمير في مثل قوله تعالى (أُنُلْزِمُكُمُوهَا) ، يقول السمين : (وقوله (أُنُلْزِمُكُمُوهَا) أتى هنا بالضميرين متصلين ، ويقدم ضمير الخطاب ؛ لأنه أخص .... وقال الزمخشري : يجوز أن يكون الثاني منفصلاً كقوله أنلزمكم إياه ونحوه (فسيكفيكم الله) ويجوز فسيكفيك إياهم ، وهذا الذي قاله الزمخشري ظاهرقول سيبويه وإن كان بعضهم منعه) [31] .

نخلص مما سبق إلى أن ما ذهب إليه الزمخشري من جواز انفصال ثاني الضميرين في مثل قوله تعالى (أُنُلْزِمُكُمُوهَا) مذهب خحيح مشهور ، قال به . كما رأينا . جمهور النحاة ، وشهد لهم السماع . وما من شك في أن الاتصال أجود بدليل أنه لم

[30] / شرح المرادي على ألفية ابن مالك ج 1 ص 143 ، 144
[31] / الدر المصون ج6 ص 215

يأتِ في القرآن الكريم إلا متصلاً ، ولكنه اتصال غير لازم، ويدل على عدم لزومه قول النبي صلى الله عليه وسلم : "فإن الله ملككم إياهم" وقد وافق أبوحيان الجمهور في كتابه (ارتشاف الضرب) [32] فأجاز الاتصال والانفصال.

ولكنه في (البحر المحيط) مال إلى رأي سيبويه وابن أبي الربيع مخالفاً الزمخشري والجمهور.

2- إقامة "أل" مقام الضمير

قي قوله تعالى : (وَبَشِّرِ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) [33]

أجاز الزمخشري[34] أن تكون الألف واللام في (الأنهار) مراداً بها الجنس أويراد أنهارها فعوض التعريف باللام من تعريف الإضافة كقوله : " وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا " [35] .

وتعقبه أبوحيان ، قال :"وهذا الذي ذكره الزمخشري وهوأن الألف واللام تكون عوضاً من الإضافة ليس مذهب البصريين بل شئ وذهب إليه الكوفيون وعليه خرج بعض الناس قوله تعالى:"مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ " [36] أي أبوابها . وأما البصريون فيتأولون

---

[32] / ينظر ج1 ص477
[33] / البقرة : 25
[34] / الكشاف ج1 ص 259
[35] / مريم : 4
[36] / ص: 50

هذا على غير هذا الوجه يجعلون الضمير محذوفاً ، أي الأبواب منها ، ولوكانت الألف واللام عوضاً من الإضافة لما أتي بالضمير مع الألف واللام وقال الشاعر:

قطوب رحيب الجيب منها رقيقة بجسي الندامى بضة المتجرد [37]

المناقشة والترجيح:

أجاز الكوفيون [38]وكثير من المتأخرين إقامة "أل" مقام الضمير .

يقول الفراء : (العرب تجعل الألف واللام خلقاً من الإضافة فيقولون : مررت برجل حسة العين قبيح الأنف . والمعنى : حسنة عينه وقبيح أنفه ، ومنه قوله تعالى : " فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى " فالمعني . والله أعلم . مأواه) [39]

واستشهد الكوفيون ومن تبعهم على ما ذهبوا إليه من نيابة "أل" عن الضمير بشواهد منها :

1. قوله تعالى: "جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ"[40] أي أبوابها.
2. قوله تعالى: " إِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى" [41] أي مأواه.
3. قوله تعالى:يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ " [42] أي جلودهم.

---

[37] / البحر المحيط ج1 ص113
[38] / ينظر المغني ج1ص55 ، وهمع الهوامع ج1 ص276 ، 277
[39] / معاني القرآن ج2 ص408
[40] / ص: 50
[41] / النازعات : 41
[42] / الحج : 20

4. قال تعالى : " يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ " [43] أي بنواصيهم وأقدامهم.

5. قال عنترة:

فتركته جزر السباع ينشنه ما بين قلة رأسه والمعصم [44]

أي ما بين قلة رأسه ومعصمه.

6. وقوله أيضاً :

عهدي به مد النهار كأنما خضب البنان ورأسه بالعظلم [45]

أي خضبنا بنا نه ورأسه ..... إلى آخر هذه الشواهد وهي كثيرة

أما البصريون فلم يجيزوا إقامة "أل" مقام الضمير ، وتأولوا الشواهد السابقة على حذف الضمير ، ففي قوله تعالى " إِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى " يجعلون التقدير في المأول له. وهكذا تأولوا بقية الشواهد.

ولست أجد مبرراً يدعونا إلى تقدير ضمير محذوف في الشواهد السابقة ما دام الكلام واضحاً ومفهوماً بدون تقدير ، (قال) في الشواهد السابقة كلها حالة محل الضمير ومؤدية الوظيفة . فلماذا التقدير ؟ ومن ثم قال الراجح عندي ما ذهب إليه الكوفيون من جواز إقامة "أل" مقام الضمير؛ لوفرة الشواهد على هذه المسألة وأيسر

[43] / الرحمن : 40
[44] / يوان عنترة بشرح الأعالأعلم الشننتمري ص210
[45] / الديوان نفسه ص 213

مذهبهم وسلامته من ادعاء الحذف واللجوء إلى التقدير الذي لا مبرر له وقد أخذ الزمخشري بمذهب الكوفيين فأجاز في الآية التي تقدمت وهي قوله تعالى : " تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ " أن تكون الألف واللام في (الأنهار) عوضاً عن الضمير كما هي في قوله : " وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا" .

واعترض أبوحيان على الزمخشري بأن إقامة "أل" مقام الضمير ليس مذهباً للبصريين بل هومما ذهب إليه الكوفيون.

وكأني بأبي حيان يقلل من شأن المذهب الكوفي في هذه المسألة ومن ثم اعترض على الزمخشري حين أخذ به ، ولست أتفق معه في ذلك بل إن مذهب الكوفيين هوالراجح عندي . كما أسلفت . إنتصر أبوحيان لمذهب البصريين ، فقال : لوكانت الألف واللام عوضاً عن الإضافة لما أتي بالضمير مع الألف واللام في قول الشاعر[46]:

قطوب رحيب الجيب منها رقيقة بجسي الندامى بضة المتجر

قلت : ما ورد في البيت السابق من الجمع بين "أل" والضمير لا يضعف مذهب الكوفيين ؛ لأن البيت شاذ في بابه ، لأن للشعر طرقه وضرائره . وقد جا في الشعر

[46] هكذا ورد البيت في البحر المحيط ، طبعة دار الفكر ، وفيه بعض تحريف ، وصوابه :
رحيب قطاب الجيب منها رقيقة بجس الندامى بضة المتجرد
والبيت من معلقة طرفة بن العبد ، والرحيب : الواسع ، قطاب الجيب : مجتمعه حيث قطب أي جمع وهومخرج الرأس من الثوب ، الجس بفتح الجيم : اللمس ، البضة : البيضاء الرقيقة الجلد الناعمة ، المتجرد على صيغةالمفعول : ما سترته الثياب من الجسد ، يقول : هي بضة الجسم عن التجرد من ثيابها والنظر إليها ، ينظر ديوان طرفة ص 30 شرح القصائد السبع الطوال للابن الأنباري ص 189 والخزانة ج4 ص 303

الجمع، بين العوض والمعوض في غير هذه المسألة ، فالميم المشددة مثلاً في (اللهم)عوض [47] عن (ياء) النداء . وقد جمع بينهما في قول أبي خراش الهذلي: في (يا أبتِ) عوض عن يا المتكلم . وقد جمع بينهما في قول الشاعر:

أيا أبتي لا زلت فينا فإنما لنا أمل في العيش ما مت عائشا [48]

وبعد ... فموقف أبي حيان من إقامة "أل" مقام الضمير لم يكن مطرداً ، فحين أجاز الزمخشري نيابة "أل" عن الضمير اعترضه ورد عليه وانتصر لمذهب البصريين ، في حين نجده في ثنايا تفسيره يجيز ما أجازه الزمخشري فعند قوله تعالى: "فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ" [49] .

قال أبوحيان :

لحياء في شفتيها حوة للعس وفي الثات وفي أنيابها شنب

يريد : وفي لثاتها [50]

3- إعراب اسم الفاعل المعتمد على الاستفهام

عند قول تعالى: "قَالَ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ " [51]

---

[47] / الميم المشددة في (اللهم) عوض عن (ياء) النداء عند البصريين ، وفي ذلك خلاف ، ينظر المسألة السابعة والأربعين في الإنصاف لابن الأنباري ج 1 ص 341

[48] / البيت في حاشية الخضري ج2 ص79

[49] النساء : 34

[50] البحر المحيط ج3 ص340

قال الزمخشري : "وقدم الخبر على المبتدأ في قول : "أَراغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْراهِيم " لأنه كان أهم عنده وهوعنده أعني , فيه ضرب من التعجب والإنكار لرغبته عن آلهته وأن آلهته ما ينبغي أن يرغب عنها أحد . وفي هذا سلوان وثلج لصدر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عما كان يلقى من مثل ذلك من كفار قومه " [52]

ونقل أبوحيان كلام الزمخشري وتعقبه قائلاً : « المختار في إعراب (أراغب أنت) أن يكون راغب مبتدأ : لأنه قد اعتمد على أداة استفهام و(أنت) فاعل سد مسد الخبر ويترجح هذا الإعراب على ما أعربه الزمخشري من كون أراغب خبراً وأنت مبتدأ بوجهين:

أحدهما أنه لا يكون فيه تقديم ولا تأخير ؛ إذ رتبة اللخبر أن يتأخر عن المبتدأ . والثاني أن لا يكون فصل بين العامل الذي هوأراغب وبين معموله الذي هو"عن آلهتي" بما ليس بمعمول العامل ؛ لأن الخبر ليس هوعاملاً في المبتدأ بخنلاف كون أنت فاعلاً فإنه معمول "أراغب" فلم يفصل بين "أراغب" وبين "عن آلهتي" بأجنبي إنما فُصِل بمعموله » [53]

---

[51] / مريم : 46
[52] / الكشاف ج2 ص 511
[53] / البحر المحيط ، ج6 ص194 ، 195

المناقشة والترجيح:

إذا اعتمد اسم الفاعل على استفهام كآية المسألة "أراغب أنت" جاز إعراب الوصف مبتدأ وما بعده فاعل سد مسد الخبر وهوالمختار ، ويجوز إعراب الوصف خبراً مقدماً وما بعده مبتدأ في آية المسألة أعرب الزمخشري "أراغب"خبراً مقدماً ، و"أنت" مبتدأ . وتعقبه أبوحيان بأن اختار أن يكون راغب مبتدأ ؛ لأنه اعتمد على أداة استفهام ، و"أنت " فاعل سد مسد الخبر.

وما قاله أبوحيان صحيح ، وأكثر المعربين الذين وقفت على كلامهم اقتصروا على هذا الإعراب المختار كالنحاس [54] ومكي بن أبي طالب [55] وابن الأنباري [56] والعكبري [57] .

والزمخشري لا يجهل أن اسم الفاعل إذا اعتمد على استفهام جاز أن يرفع ما بعده على الفاعلية ، وقد أجاز ذلك في بعض المواضع من (الكشاف) [58] . ولكنه لم يجزه في "أراغب أنت" ، بل اقتصر على كون "راغب"خبراً مقدماً ، و"أنت" مبتدأ ؛ لأن هذا الإعراب يخدم المعنى ويحقق غرضاً بلاغياً على النحوالذي وضحه الزمخشري في نصه السابق ، وذلك ما لا يحققه الإعراب الآخر .

---

[54] / ينظر إعراب القرآن ج3 ص6
[55] / ينظر المشكل ج2 ص 58
[56] / ينظر البيان ج2 ص127
[57] / ينظر البيان ج2 ص876
[58] / ينظر على سبيل المثال ج1 ص 406

فإعراب الزمخشري هنا يمثل منهجه في الميل إلى المعنى واختيار الإعراب الذي يخدم المعنى وإن كان مجوحاً من حيث الصناعة .

أما ما اُعترض به على كون "راغب" خبر و"أنت" مبتدأ بأنه يلزم منه الفصل بين العامل وهو"راغب" ومعموله "عن آلهتي" بالمبتدأ وهوأجنبي فيجاب عنه بأن المعمول "عن آلهتي" جار ومجرور وهومحل توسع لا بأس في الفصل بينه وبين عامله بأجنبي . وقيل : إن المبتدأ ليس أجنبياً من كل وجه ؛ إذ إن مذهب الكوفيين [59] أن المبتدأ والخبر ترافعا ، أي : عمل كل واحد منهما الرفع في الآخر ، وعليه يكون المبتدأ "أنت" في الآية معمولاً والخبر "راغب" فلا يكون الفصل بأجنبي.

يقول صاحب (الكشف على الكشاف)راداً على ما اعتُرض به على إعراب الزمخشري : ‹‹ المبتدأ ليس أجنبياً من كل وجه لا سيما والمفصول ظرف (يعني: عن آلهتي) والمقدم في نية التأخير ، والبليغ يلتفت إلى المعنى لأنه وجه مشاع في العربية. وإن لم يكن مرجوحًا ... ولا خفاءأن الإنكار إنما نشأ من تقديم الخبر ، وكأنه قيل :(أراغب أنت عنها) ، ولوقيل : أترغب لم يكن من هذا الباب في شيء ›› [60]

[59] / ينظر همع الهوامع ج2 ص8

[60] /نقلاً عن الألوسي ، ينظر روح المعاني ج16 ص98.. صاحب (الكشف) هوعمر بن عبد الرحمن بن عمر سراج الدين الفارسي الكناني ، كان من صباه مشمراً ساف الجد في التحصيل لا يفتر ساعة ، وكان له حظ وافر من العلوم سيما العربية . ت: 745هـ ، ينظر ترجمته في "طبقات المفسرين" الداودي ج2 ص5

فصاحب (الكشف) في نصه المتقدم أشاد بإعراب الزمخشري من حيث المعنى ؛ لأنه ، كما قلنا ،يحقق معنى بلاغياً يفوت على الإعراب الآخر المختار صناعة.

4- من مسوغات الابتداء بالنكرة

عند قوله تعالي: " ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَه ُ" [61]

[61] / الأنعام: 2

قال الزمخشري : ‹‹ فإن قلت : المبتدأ النكرة إذاً كان خبره ظرفاً وجب تأخيره ، فلم جاز تقديمه في قوله "وأجل مسمى عنده" ؟ قلت : لأنه تخصص بالصفة فقارب المعرفة كقوله : " لَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ" [62] ›› [63] .

قال أبوحيان : ‹‹ وهذا الذي ذكره من مسوغ الإبتداء بالنكرة لكونها وصفت لا يتعين هنا أن يكون هوالمسوغ ؛ لأنه يجوز أن يكون المسوغ هوالتفصيل ؛ لأن مسوغات الابتداء بالنكرة أن يكون الموضع موضع تفصيل نحوقوله [64]:

إذا ما بكى من خلفها انحرفت له بشق وشق عندنا لم يحول [65]

مناقشة والترجيح:

ذكر الزمخشريّ أنه أجاز الإبتداء بالنكرة في قوله تعالى "أجل مسمى عنده" لتخصيصها بالوصف ، وتعقبه أبوحيان بأنه لا يتعين أن يكون الوصف هوالمسوغ ؛ لأنه يجوز أن يكون المسوغ هوالتفصيل؛ (لأن الآية ذكرت أجلين).

وذكر السمين [66] مسوغًا ثالثًا في الآية وهوالعطف ، قال : ومجرد العطف من المسوغات ، واستشهد له بقول الشاعر:

عندي اصطبار وشكوى عند قاتلتي فهل بأعجب من هذا امرؤ سمعا

---

[62] / البقرة : 221
[63] / الكشاف ج2 ص 4 ، 5
[64] / قالئلة إمرؤ القيس
[65] / البحر المحيط ج4 ص71
[66] / الدر المصون ج4 ص526

وكون العطف مسوغاً دون شرط قال به جماعة من النحاة ومنهم ابن مالك [67] ، واستشهد له بالبيت السابق ، وبه يصح ما قاله السمين ، ولكن أكثر النحاة اشترطوا [68]في العطف أن يكون المعطوف أوالمعطوف عليه مما يسوغ الابتداء به نحو« طاعة وقول معروف» [69] أي أمثل من غيرهما ، ونحو« قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى » [70].

فإذا أخذنا بالشرط فإن آية المسألة «ثم قضى أجلاً وأجل مسمى عنده » ليست من هذا القبيل .

والمسوغ الذي ذكره الزمخشري للابتداء بالنكرة في الآية وهوالوصف يعد من أشهر المسوغات وهوأحد المسوغات التي وردت في ألفية ابن مالك وأشار إليه في قوله : ورجل من الكرام عندنا ...

ولهذا اقتصر عليه الزمخشري ، واعتراض أبي حيان عليه بأنه لا يتعين أن يكون المسوغ في الآية الوصف ويجوز أن يكون المسوغ التفصيل أجاب عنه تلميذه السمين قال: « الزمخشري لم يقل إنه تعين ذلك حتى يلزمه به و إنما ذكر أشهر المسوغات ، فإن العطف والتفصيل قل من يذكرهما في المسوغات » [71].

---

[67] / ينظر شح التسهيل ج1 ص291 ، 292
[68] / ينظر المغني ج2 ص521 ، وينظر شرح الأموني ج1 ص216
[69] / محمد : 21
[70] / البقرة: 263
[71] / الدر المصون ج4 ص 527

5- إعراب قوله تعالى "والسارق والسارقة فاقطعوا أيدهما"[72]

قال الزمخشري: « والسارق والسارقة» رفعهما على الابتداء والخبر محذوف عند سيبويه كأنه قيل : فيها فرض عليكم السارق والسارقة ، أي حكمهما ووجه آخر وهوأن يرتفعا الابتداء والخبر (فاقطعوا أيديهما) ودخول الفاء لتضمنها معنى الشرط ؛ لأن المعنى : "والذي سرق والتي سرقت فاقطعوا أيديهما" والاسم الموصول يضمن معنى الشرط.

[72] / المائدة : 38.

وقرأ عيسى بن عمر بالنصب وفضلها سيبويه على قراءة العامة لأجل الأمر ؛ لأن زيداً فاضربه أحسن من زيد فاضربه [73].

واختار أبوحيان الوجه الأول الذي ذكره الزمخشري في إعراب (السارق والسارقة) وهومذهب سيبويه . أما الوجه الآخر الذي أجازه الزمخشري فقال عنه :« وهذا الوجه الذي أجازه (يعني الزمخشري) وإن كان ذهب إليه بعضهم لا يجوز عند سيبويه ؛ لأن الموصول لم يوصل بجملة تصلح لأداة الشرط ولا بما قام مقامها من ظرف أوجار ومجرور ، بل الموصول هنا "أل" لا تصلح لأداة الشرط . وقد امتزج الموصول بصلته حتى صار الإعراب في الصلة بخلاف الظرف المجرور فإن العامل فيها جملة تصلح لأداة الشرط » [74].

ورد أبوحيان على الزمخشري ما ذكره من أن سيبويه فضل قراءة عيسى بن عمر (والسارق والسارقة) بالنصب على قراءة العامة.

قال أبوحيان : « أما قوله في قراءة عيسى أن سيبويه فضلها على قراءة العامة فليس بصحيح ، بل الذي ذكره سيبويه في كتابه أنهما تركيبان : أحدهما "زيداً أضربه" والثاني " "زيد فاضربه" ، فالتركيب الأول اختار فيه النصب ثم جوز الرفع بالابتداء ، والتركيب الثاني منع أن يرتفع بالابتداء وتكون الجملة الجملة الأمرية خبراً له ؛ لأجل

[73] / الكشاف ج1 ص 611 ، 612.
[74] / البحر الميط ج3 ص482

الفاء ، وأجاز نصبه على الاشتغال أوعلى الإغراء ، وذكر أنه ستقيم رفعه على أن يكون جملتان ويكون زيد خبر مبتدأ محذوف ، أي هذا زيد فاضربه ، ثم ذكر الآية فخرجها على حذف الخبر ودلّ كلامه أن هذا التركيب هولا يكون إلا على جملتين : الأول ابتدائية ، ثم ذكر قراءة ناس بالنصب ولم يرجحها على قراءة العامة إنما قال وهي في العربية على ما ذكرت لك من القوة ، أي نصبها على الاشتغال أوالإغراء وهوقوي لا ضعيف . وقد منع سيبويه رفعه على الابتداء والجملة الأمرية خير لأجل الفاء »[75] .

المناقشة والترجيح:

ذكر الزمخشري وجهين من الإعراب في رفع (السارقُ والسارقةُ):

الوجه الأول : أنهما ارتفعا بالابتداء والخبر محذوف والتقدير : فيما فرض عليكم السارق والسارقة ، أي حكمهما ، ونسبه لسيبويه.

الوجه الثاني : أن يرتفعا بالابتداء والخبر جملة (فاقطعوا أيديهما) ولم ينسبه لأحد.

واختار أبوحيان رأي سيبويه وارتضاه ، ثم يعقب الوجه الثاني الذي ذكره الزمخشري وهون منه ، فقال عنه : « هذا الوجه الذي أجازه (يعني الزمخشري) وإن كان ذهب إليه بعضهم لا يجوز عند سيبويه » . ونلحظ أن أبا حيان لم يعز هذا الرأي لأحد بل قال « ذهب إليه بعضهم » وهكذا يلفظ (بعض) مضافاً إلى ضمير الغيبة

[75] / البحر المحيط ج3 ص482

على الرغم من أن هذا الرأي مشهور قال به الفراء [76] وأبوالعباس [77] المبرد والزجاج [78] وغيرهم.

وأجاب القائلون بهذا الرأي عن دخول الفاء على جملة الخبر (فاقطعوا أيديهما) بأن المبتدأ يتضمن معنى الشرط ، لأن السارق والسارقة في الآية لا يراد بهما معين ، بل المعنى من سرق فاقطعوا يده ، فينزل السارق منزلة الذي سرق وهويتضمن معنى الشرط.

وسيبويه لم يجز أن يكون قوله (فاقطعوا أيديهما) خبراً عن لسارق والسارقة ؛ لأن الفاء . عنده . لا تدخل في خبر الموصول إلا إذا كانت صلته جملة فعلية صالحة لأن تكون شرطاً أوما يقوم مقامها من ظرف أوجار ومجرور ، وصلة "أل" في الآية ليست كذلك ، ولهذا تأول سيبويه الآية على حذف الخبر . قال في (الكتاب) : "و أما قوله عز وجل " (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ) [79] وقوله تعالى : (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا) فإن هذا لم يبن على الفعل ، ولكنه جاء على مثل قوله تعالى : (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ) [80] ثم قال بعد :(فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ) فيها كذا وكذا ، فإنما وضع المثل الحديث اذي بعده ، فذكر أخباراً وأحاديث ، فكأنه قال : ومن

---

[76] / ينظر معاني القرآن ج1 ص 206
[77] / ينظر رأيه هذا في كتابه (الكامل) ج1 ص 266
[78] / ينظر كتابه معاني القرآن ج1 ص172
[79] / النور: 2
[80] / محمد : 15

القصص مثل الجنة أومما يقص عليكم مثل الجنة فهومحمول على هذا الإضمار ... وكذلك : (والسارق والسارقة) كأنه قال : فيما فرض الله عليكم السارق والسارقة ، أوالسارق والسارقة فيما فرض عليكم .[81] .

وعلى رأي سيبويه فالآية تتكون من جملتين اثنتين اسمية وهي قوله (السارق والسارقة) فيما فرض عليكم ، وفعلية وهي قوله (فاقطعوا أيديهما).

وتأويل الآية على هذا النحوفي غاية التكلف ، ولنا مندوحة عنه بجعل الجملة الأمرية (فاقطعوا أيديهما) خبراً عن السارق والسارقة ، وقال بهذا الرأي كما سبق الفراء والمبرد والزجاج وأجازه الزمخشري وذكره إلى جانب رأي سيبويه.

وكان الأجدر بأبي حيان أن لا يهون من شأن هذا الرأي وإن اختار رأي سيبويه ، وذكر الزمخشري في النص الذي نقلته في أول المسألة ، قراءة عيسى بن عمر ينصب (السارقَ والسارقةَ) وقال إن سيبويه فضلها على قراءة العامة لأجل الأمر ؛ لأن زيداً فاضربه أحسن من (زيدٌ فاضربه) . وسأنقل لك ما قاله سيبويه في (الكتاب): "وقد قرأ الناس : (السارقَ والسارقةَ) و(الزانيةَ وا لزانَي) " وهوفي العربية على ما ذكرت لك من القوة ، ولكن أبت العامة إلا القراءة بالرفع وإنما كان الوجه في الأمور والنهي النصب ؛ لأن حد الكلام تقديم الفعل وهوفيه أوجب .... " [82]

[81] /الكتاب ج1 ص142 ، 143
[82] /الكتاب ج1 ص144.

وخطّأ أبوحيان ما ذكره الزمخشري من أن سيبويه فضل قراءة النصب على قراءة العامة ، وقال : "وأما قوله في قراءة عيسى أن سيبويه فضلها على قراءة العامة فليس صحيح".

ودافع أبوحيان عن سيبويه ونفى أن يكون في كلامه ما يفيد التفضيل قراءة النصب على قراءة العامة . وقال ما ملخصه : أن سيبويه ذكر في كتابه تركيبين:

أحدهما : زيداً اضربه ، والآخر : زيدٌ فاضربه.

فالأول : اختار فيه النصب ؛ لأن الاسم فيه مبني على الفعل والثاني لم يختر سيبويه فيه النصب ؛ لأن الاسم فيه لم يبنَ على اللفعل ، قراءة العامة (السارقُ والسارقةُ) بالرفع الاسم فيها لم يبنَ على الفعل , بل هي محمولة على كلامين كما تقدم . فليست من باب ما يختار فيه النصب.

وأبوحيان مسبوق في تخطئته الزمخشري ودفاعه عن سيبويه بابن المنير [83] الاسكندري ، وتابعهما السمين الحلبي ، قال في الرد على الزمخشري : "وفي نقله تفضيل النصب على قراءة العامة نظر، ويظهر ذلك بنص سيبويه ، قال سيبويه : الوجه في كلام العرب النصبُ كما تقول: "زيداً اضربه" ولكن أبت العامة إلا الرفع " وليس في هذا ما يقتضي تفضيل النصب ، بل معنى كلامه أن هذه الآية ليست من الأشغال في شيء ؛

[83] / ينظر كتابه (الإنصاف) وهومطبوع بهامش الكشاف ج1 ص611

إذ لوكانت من باب الاشتغال لكان الوجه النصب ، ولكن لم يقرأها الجمهور إلا بالرفع ، فذل على أن الآية محمولة على كلامين كما تقدم لا على كلام واحد ، وهذا ظاهر" [84]

ونقل الشاوي [85] ما ذكره الزمخشري من تفضيل سيبويه لقراءة النصب على قراءة العامة ، ونقل رداً لأبي حيان عليه دون تدخل منه.

وبعد قراءة متأنية مني لما قاله سيبويه في هذه المسألة أقول : إن ما ذكره الزمخشري من تفضيل سيبويه لقراءة النصب على قراءة العامة صحيح ، يؤيد ما أقوله أمور:

(1) إن الذي حسّن النصب عند سيبويه في نحو"زيداً اضربه" هوجملة الأمر وهذا أحسن موجود في قراءة "السارقَ والسارقةَ " بالنصب.

(2) قول سيبويه بعد أن ذكر قؤاءة النصب وقواها : "ولكن أبت العامة إلا القراءة بالرفع"

وبالفعل (أبت) فيه إشارة إلى أن قراءة النصب أولى وأقوى ولكن العامة أبتها وقرأت بالرفع ولولم يرد سيبويه تفضيل قراءة النصب لقال : قرأ الناس بالنصب ووجهه كذا وكذاوقرأت العامة بالرفع ووجهه كذا وكذا.

---

[84] / الدر المصون ج4 ص259

[85] / المحاكمة ، ورقة 82 ن وقد أطال الشاوي في ذكر الخلاف الذي دار بين الرازي وأبي حيان حول قراءة (السارق والسارقة) بالنصب ، وموقف سيبويه منها . واستغرق حديثه عن هذه القضية نحوثلاث ورقات وهي في مجملها منقولة من البحر المحيط.

(3) أن سيبويه سوى بين "زيدٌ فاضربه" وقراءة العامة "السارقُ والسارقةُ فاقطعوا أيديهما" ، وفي كلام سيبويه ما يفيد بأن "زيداً فاضربه" أحسن من "زيدٌ فاضربه" وسأوضح ذلك:

منع سيبويه ي (الكتاب) أن يرتفع "زيد فاضربه" بالابتداء وتكون جملة الأمر خبراً عنه ؛ لأجل الفاء ، قال : "فإذا قلت زيدٌ فاضربه ، لم يستقم أن تحمله على الابتاء ألا ترى أنك لوقلت : زيدٌ فمنطلق لم يستقم" [86] . ثم أجاز "زيداً فاضربه"بالنصب على الاشتغال أوالإغراء ، ثم قال ما نصه :"و قد يحسُن ويستقيم أن تقول : "عبدُ الله فاضربه" شئت لم تظهر "هذا" ويعمل كعمله إذا أظهرته ، وذلك قولك : الهلال والله فانظر إليه ، وكذلك قلت : هذا الهلال ، ثم جئت بالأمر" [87]

يقول سيبويه : "قد يحسن ويستقيم ..... " يفيد أن الرفع في نحو(عبدُ الله فاضربه)و أشبهه حَسَنٌ ومستقيم إذا كان الكلام جملتين غير أن الرفع مع حسنه واستقامته أقل حُسناً من النصب ؛ لأن سيبويه قال "ويحسنن" فهوحسن مسبوق بقدو"قد" إذا دخلت على الفعل المضارع أفادت التقليل ، وإذا ثبت أن : "زيدٌ أضربه" عند سيبويه أقل حُسناً من "زيداً فاضربه" ثبت تفضيله لقراءة النصب على قراءة العامة.

---

[86] / الكتاب ج1 ص138

[87] / المصدر نفسه.

5) صرح علماء كثيرون بأن سيبويه اختار قراءة النصب على قراءة العامة فالزمخشري لم يتفرد بها الرأي.

وسأنقل لك بعض نصوصهم:

قال أبوجعفر النحاس : "وقرأ عيسى بن عمر "والسارق والسارقة" نصباً وهواختيار سيبويه قال : إلى أن العامة أبت إلا الرفع ، يريد العامة الجماعة ، ونصبه بإضمار فعل أي : فاقطعوا السارق والسارقة ، وإنما اختار النصب ؛ لأن الأمر بالفعلى أولى "

[88]

قال مكي بن أبي طالب:

قوله تعالى : "والسارقُ والسارقةُ" رفع بالابتداء والخبر محذوف عند سيبويه تقديره : فيما يتلى عليكم السارق والسارقة أوفيما فرض عليكم ، وكان الاختيار على مذهب سيبويه النصب ؛ لأنه أمر وهوبالفعل أولى وبه قرأ عيسى بن عمر" [89]

وممن قال بأن سيبويه اختار قراءة النصب وفضلها على قراءة العامة بالرفع: الطوسي [90] ، القرطبي [91] ، وأبوالسعود [92]، والشوكاني [93] وفي الختام أقول إن اختيار

---

[88] / إعراب القرآن ج2 ص 19
[89] / المشكل ج 1 ص 227
[90] ينظر تفسيره "التبيان" ج3 ص 511
[91] / ينظر تفسيره "الجامع لأحكام القرآن" ج6 ص166
[92] / ينظر تفسيره ج3 ص34
[93] / ينظر تفسيره "فتح القدير"ج2 ص39

سيبويه . رحمه الله . لقراءة النصب لا يعني أنه يأبي قراءة العامة بالرفع بل أن سيبويه قبل قراءة العامة برفع "السارقُ والسارقةُ" وتأولها على حذف الخبر كما رأينا ، والله أعلم.

6- وقوع الظروف المقطوعة عن الإضافة اخباراً

عند قوله تعالى : (قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ) [94] ، قال الزمخشري " "ما فرطتم في يوسف" فيه وجوه : أن تكون (ما) صلة أي ومن قبل هذا قصرتم في شأن يوسف ولم تحفظوا عهد أبيكم ، وأن تكون مصدرية على أن محل المصدر الرفع على الابتداء وخبره الظرف وهومن قبل ، ومعناه : ووقع من قبل تفريطكم في يوسف.... " [95] ،وقال أبوحيان : "ما" في قوله (ما فرطتم) زائدة ، أي : ومن قبل هذا فرطتم في يوسف ، و(من قبل) متعلق بـ (فرطتم) ، وقد جوزوا في إعرابه وجوها: ، أحدهما : أن تكون (ما) مصدرية قال الزمخشري : "على أن محل المصادر الرفع على الابتداء وخبره والظرف وهو(من قبل) ومعناه : ووقع من قبل تفريطكم في يوسف " وقال ابن عطية [96] : "لا يجوز أن يكون قوله (من قبل) متعلقاً بـ (ما فرطتم) وإنما تكون على هذا مصدرية التقدير : (من قبل تفريطكم في يوسف واقع ومستقر) وبهذا يتعلق قوله من قبل " وهذا وقول الزمخشري راجع إلى معنى واحد وهوأن (ما فرطتم) يقدر بمصدر مرفوع بالابتداء و(من قبل) في

[94] يوسف : 80
[95] الكشاف ج2 ص337
[96] / ينظر المحرر الوجيز ج لا8 ص 44

موضع الخبر . وذهلا عن قاعدة عربية . وحق لهما أن يذهلا ، وهي أن هذه الظروف التي هي غايات [97]إذا بنِيت لا يقع اختياراً للمبتدأ جرت أولم تجر تقول : " يوم السبت مبارك والسفر بعده" ولا يجوز والسفر بعد ، "وعمروزيد خلفه" ولا يقال : "عمروزيد خلف" وعلى ما ذكراه يكون "تفريطكم" مبتدأ ، و"من قبل" خبر وهومبني وذلك لا يجوز وهذا مقرر في علم العربية " [98]

المناقشة والترجيح:

ذهب أبوحيان إلى أن (ما) في قوله تعالى : (من قبل ما فرطتم في يوسف) زائدة وهذا الوجه بدأ به الزمخشري وأجاز وجهاً آخر ثنى به وهو: أن تكون (ما) مصدرية على محل المصدر الرفع على الابتداء وخبره الظرف (من قبلُ) ، ووافقه ابن عطية وتعقبها أبوحيان بلهجة قاسيةقال :"وذهلا عن قاعدة عربية ، وحق لهما أن يذهلا ، وهي أن هذه الظروف التي هي غايات إذا بـُنيت لا تقع اختباراً للمبتدأ"

وانتصر لهما السمين الحلبي [99] ، قال :"قوله (وحق لهما أن يذهلا)" تحامل على هذين الرجلين المعروف موضعهما من العلم ، وأما قوله : "إن الظرف المقطوع لا يقع خبراً "فمسلّم؛ قالوا : لأنه يفيد وما لا يفيد لا يقع خبرا ، لذا لا يقع صلة ولا صفة ولا حالاً ، لوقلت (جاء الذي قبل) أو(مررت برجل قبلُ) لم يجز لا ذكرت ولقائل أن يقول :

---

[97] /سميت الظروف المقطوعة عن الإضافة غايات ؛ لأنها صارت غاية أي آخراً في النطق بعد لحذف

[98] / البحر المحيط ج5 ص 336

[99] / ينظر الدر المصون ج6 ص540

إنما امتنع ذلك لعدم الفائدة وعدم الفائدة لعدم العلم بالمضاف إليه المحذوف . فينبغي . إذا كان المضاف إليه معلوماً مدلولاً عليه . أن يقع ذلك الظرف المضاف إلى ذلك المحذوف خبراً وصفاً وحالاً . والأية الكريمة من هذا القبيل ، أعني معاً علم فيه المضاف إليه ... ثم هذا الرد الذي رد به الشيخ سبقه إليه أبوالبقاء [100] فقال : "وهذا ضعيف ؛ لأن (قبل)" إذا وقعت خبراً أوصلة لا تقطع عن الإضافة لئلا تبقى ناقصة ".

فالسمين أجاز وقوع الطرف المقطوع عن الإضافة خبراَ إذا كان المضاف إليه معلوماً مدلولاً عليه كما في آية المسألة ، وذكر السمين أن أبا حيان مسبوق في اعتراضه بأبي البقاء العكبري ، وهذه القاعدة التي ذكرها أبوالبقاء وأبوحيان ليست محل اتفاق وقد نقل الشهاب الخفاجي [101] أن الإمام المرزوقي في (شرح الحماسة) أجاز وقوع هذه الظروف المقطوعة عن الإضافة أخباراً أوصفات وصلات وأحوالاً ونقل هذا الإعراب عن الرماني وغيره واستشهد له بما يثبته من كلام العرب .

واستدرك ابن هشام على هذه القاعدة قال : "وقوله تعالى (ومن قبل ما فرطتم في يوسف) ما إما زائدة فمن متعلقة بـ (فرطتم) وإما مصدرية فقيل : موضعها هي وصلتها ورفع بالابتداء وخبره (من قبل) " ورد بأن الغايات لا تقع أخباراً ولا صلات ولا صفات

[100] / ينظر التبيان ج2 ص540
[101] / ينظر التبيان ج2 ص742

ولا أحوالاً ، نص على ذلك سيبويه وجماعة من المحققين ويشكل عليهم (كيف كانت عاقبة الذين من قبل) [102] .

فالظاهر في الآية السابقة التي ذكرها ابن هشام أن صلة الذين هي (من قبل) وهنا حاول أنصار القاعدة أن يجدوا مخرجاً لهذه الآية ، قال الدسوقي معقباً على قول ابن هشام ويشكل عليهم (كيف كانت عاقبة الذين من قبل) : ردّ بأن (قبل) ظرف متعلق بالمشركين والصلة جملة (كان أكثرهم مشركين) والأصل كيف كان عاقبة الذين كان أكثرهم مشركين من قبل) [103] وهذا الرد الذي ذكره الدسوقي متكلف، والظاهر أن صلة الذين في الآية الظرف (من قبل) كما قال ابن هشام ، والصلة بهذا الظرف مضاف إلى ضمير حذفٍ معلوم ، إذ الخطاب لقوم محمد صلى الله عليه وسلم ، أمرهم الله بالسير في الأرض لينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم .

ويشهد لما قاله ابن هشام من أن صلة الذين في الآية هي الظرف (من قبل) أن علماء القراءات أجازوا الوقف على قوله (من قبل) . ومعلوم أنه لا يوقف إلا على تمام الصلة . قال أبوجعفر : (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل) قطع كافٍ والتمام (كان أكثرهم مشركين) [104]، ووقوع الظرف المقطوع عن الإضافة (من قبل) صلة في الآية السابقة يؤسس بجواز وقوعه خبراً .

---

[102] / المغني ج 1 ص 351
[103] حاشية الدسوقي على المغني ج1 ص216
[104] / ينظر القطع والاستئناف ص 563

وأعود إلى ما عقب به أبوحيان على إعراب الزمخشري وابن عطية لقوله تعالى (ومن قبل ما فرطتم في يوسف) على أن ما مصدرية في محل الابتداء والخبر (من قبل) ، فأقول : إن تعقبه لهما وقوله : (ذهلا عن قاعدة نحوية .....) يوحي بأنهما أول من قال بهذا الإعراب وأنهما لم يسبقا إليه . ومن ثم فعليهما تبعته . والأمر ليس كذلك ؛/ إذ سبقهما ثلة من العلماء إلى ذلك الإعراب.

قال الفراء (ت: 207هـ) : "(ما) التي مع (فرطتم) في موضع رفع ، كأنه قال ومن قبل هذا تفريطكم في يوسف...." [105] ، وقال الزجاج (ت311هـ) : (أجود الأوجه أن يكون (ما)) لغواً فيكون المعنى (من قبل فرطتم في يوسف) أي : وقع تفريطكم في يوسف ....) [106] ، وقال أبوجعفر النحاس (ت328هـ) : (ما) زائدة لا موضع لها من الإعراب ، وقيل : في موضع رف على الابتداء ويعني وقع تفريطكم في يوسف عليه السلام ....) [107] ، قال الطوسّي (ت460) : (ما) في قوله (ما فرطتم) يحتمل ثلاثة أوجه من الإعراب ، أحدهما أن يكون منصوبة بـ (تعلموا) .. والثاني رفع بالابتداء

[105] / معاني القرآن ج2 ص53
[106] / معاني القرآن وإعرابه ج3ص124
[107] / إعراب القرآن ج2 ص340

والخبر (من قبل) [108] ، وأجاز ذلك الإعراب من المتأخرين البيضاوي [109] والقرطبي[110] والسيوطي[111] ذهل كل هؤلاء العلماءعن القاعدة؟!

8- الخلاف في خبر كان في قوله تعالى : (فإن كنّ نساءً) أافاد أم لم يفد؟

عند قوله تعالى فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ) ، قال الزمخشري : (فإن كن نساءً) فإن كانت البنات أوالمولودات نساءً خلصاً ليس معهنّ رجل يعني بنات ليس معهن ابن ، (فوق اثنتين) يجوز أن يكون خبراً ثانياً لكان وأن يكون صفة ل (نساء) [112] ، وجعل أبوحيان قوله تعالى : (فوق اثنتين) صفة ل نساء ولم يجز كونه خبراً قال : (لأنه لا تستقل فائدة الأخبار بقول "نساء" وحده ، وهي صفة التأكيد ترفع أن يراد الجمع قبلها طريق المجاز ؛ إذ قد يطلق الجمع ويراد به التثنية ، وأجاز الزمخشري أن يكون نساء (خيراً وفوق)[113] خبراً ثانياً لكان وليس بشئ ؛ لأن الخبر لا بد أن تستقل به فائدة الإسناد ولوسكت على قوله "فإن كن نساء" لكان نظير إن كان الزيدون رجالاً " هذا ليس بكلام) [114]

---

[108] / ينظر تفسيره (التبيان) ج6 ص179
[109] / ينظر تفسيرهه ج3ص140
[110] / ينظر تفسيره ج9ص242
[111] ينظر تفسير الجلالين ج2 ص 473
[112] / الكشاف ج1 ص506
[113] ما بين القوسين ساقط من (البحر المحيط) والسياق قضية أتممته من (النهر الماد) بهامش البحر المحيط ج3 ص181
[114] / البحر المحيط ج6 ص182

المناقشة والترجيح:

الخلاف في هذه المسألة منشؤه أن أبا حيان يرى أن خبر كان في قوله (فإن كن نساءً) لم يفد بذاته وإنما حصلت الفائدة بالطرف (فوق) بعده ، ومن ثم اعترض على الزمخشري حين أجاز أن يكون الظرف (فوق) خبراً ثانياً ، أوجب أبوحيان أن يكون (فوق) صفة لنساءً إذ به تتم الفائدة والكلام بدونه لا تنتظم منه فائدة فلوسكت على قوله (فإن كن نساءً) لم يفد .

ودعوى أبي حيان هذه رد عليها العلامة الألوسي ، قال عند قوله تعالى : (فإن كن نساءً) الضمير للأولاد [115] مطلقاً والخبر مفيد بلا تأويل ولزم تغليب الإناث على الذكور لا يضر؛ لأن ذلك مما صرحوا بجوازه مراعاة للخبر ، ومشاكلة . ويجوز أن يعود إلى المولودات أوالبنات نساءً خلصاً ليس معهن ذكر ، وبهذا يفيد الحمل وإلا لاتحد الاسم والخبر فلا يفيد ، على أن قوله تعالى "فوق اثنين" إذا جعل صفة ليساء فهومحل الفائدة ، وأوجب ذلك أبوحيان فيم يجز ما أجازه غير واحدمن كونه خبراً ثانياً ظناً منه عدم إفادة الحمل حينئذٍ. وهومن بعض الظن كما علمت) [116]

وأجاز جماعة من المفسرين ما أجازه الزمخشري من كون (فوق اثنين) خبراً ثانياً ومنهم الرازي [117] وأبوالسعود [118] والشهاب الخفاجي [119] والشوكاني [120] .

---

[115] / الأولاد الذين تقدم ذكرهم في قوله تعالى (يوصيكم الله في أولادكم)
[116] / روح المعاني ج 4 ص 221
[117] / ينظر تفسيره ج9 ص218

ويؤيد القول بأن "نساء" خبر لكان وهومفيد بنفسه دون نظر إلى الظرف أن لهذه الآية نظائر جاء فيها خبر كان منصوباً ولم يأتِ بعده ما تتم به الفائدة ، ومن ذلك قوله تعالى (إن كانت واحدة فلها النصف) [121] وقوله تعالى : (فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان ...) [122]

9- زيادة كان

قال تعالى : (وَما جَعَلْنا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْها إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ) [123] ، قال الزمخشري : (قرأ اليزيدي (لكبيرة) ، بالرفع ، وجهها أن تكون كان مزيدة كما في قوله "وجيرانٌ لنا كانوا كرامٌ " ، والأصل : أن هي لكبيرة كقولك "أن زيد لمنطلق" ثم أن كانت كبيرة [124]

قال أبوحيان معقباً على تخريج الزمخشري : "هذا ضعيف ؛ لأن كان الزائدة لا عمل لها ، وهنا قد اتصل بها ضمير فعملت فيه ، ولذلك استكن فيها، وخالف أبوسعيد فزعم أنها إذا زيدت عملت في الضمير العائد على المصدر المفهوم منها ، أي كان هوأي الكون " ، وكذلك أيضاً نردُّ على من زعم أن كان زائدة في قوله : "وجيران لنا

---

[118] / وينظر تفسيره ج 2 ص 149
[119] / ينظر حاشيته على البيضاوي ج 3 ص111
[120] / ينظر تفسيره ج1 ص 431
[121] / النساء 11
[122] / النساء 176
[123] / البقرة : 143
[124] / الكشاف ج1 ص219

كانوا كرام" لاتصال الضمير بها وعملها فيه ، والذي ينبغي أن تحمل القراءة عليه أن تكون (كبيرة) خبَر مبتدأ محذوف والتقدير لهي كبيرة ويكون لام الفرق دخلت على تلك الجملة خبراً لكان وهذا التوجيه ضعيف أيضاً وهوتوجيه شاذّ [125].

المناقشة والترجيح:

وجه الزمخشري القراءة اليزيدي (إن كانت لكبيرة) بالرفع على أن كان مزيدة كما في بيت الفرزدق:

فكيف إذا مررتَ بدارِ قومٍ وجيران لنا كانوا كرام

وضعف أبوحيان توجيه الزمخشري هذا ، وعلل ذلك بأن كان الزائدة لا عمل لها في قراءة اليزيدي اتصل بها الضمير فعملت فيه ولذلك استكن فيه ، قلت : (كان) على توجيه الزمخشري ليست عاملة في الضمير المستكن ؛ لأن الزمخشري حين ذهب إلى أن(كان) في قراءة اليزيدي زائدة قال ، والأصل (إنّ هي لكبيرة) ، وهذا يعني أنّ "إن" المخففة دخلت في أصل الكلام على جملة اسمية ، والأصل (إنّ هي لكبيرة) ثم زيدت كان بين إن المخففة والجملة الاسمية فصار الكلام "إنّ كان هي لكبيرة" فلما وقع الضمير المتصل بعد كان هومن جهة المعني في موقع اسم كان جُعل مستتراً شبيهاً بالاسم وإن كان مبتدأ تحقيقاً ، ولوقلنا : كما قال أبوحيان (كان) عامله في الضمير

[125] /البحر المحيط ج1 ص435

المستتر في توجيه الزمخشري وقراءة اليزيدي لبقيت (كبيرة) بلا مبتدأ وإن مخففة بلا جملة ، ونظر الزمخشريّ لزيادة كان في قراءة اليزيدي بزيادتها في بيت الفرزدق ... وجيران لنا كانوا كرام .

والقول بأن "كان" في البيت زائدة هومذهب الخليل وسيبويه [126]وجمهور النحاة ، وخالفهم أبوالعباس والمبرد ولعل أبا حيان عناه حين قال : ()وتوزع من زعم أن كان في بيت الفرزدقزائدة لاتصال الضمير بها وملهه فيه فهوالذي نازع في ذلك قال في المقتضب [127] بعد بيت الفرزدق السابق : "تأويل هذا سقوط كان على (جيران لنا كرام) في قول النحويين أجمعين، وهوعندي على خلاف ما قاله من الفاء كان ، وذلك أن خبر كان (لنا) فتقديره (جيران كرام كانوا لنا)

وهذا الذي ذهب إليه المبرد منعه أبوعلي الفارسي ، يقول ابن أبي الربيع : (ومنع أبوعلي في التذكرة أن يكون "لنا" هنا خبر "كانوا" ؛ لان "لنا" وقعت في موضع الصفة لجيران ، و"جيران" طلب وبذلك فقد وقعت موقعها فلا سبيل إلى أن تقطع وتجعل خبراً عمّا بعده لما في ذلك من االتهيئة والقطع) [128]

وتساءل ابن أبي الربيع كيف تكون (كان) الزائدة في بيت الفرزدق وقد اتصل بها الضمير ؟ ثم أجاب عن هذا التساؤل قال : (فإن قلت فهذا الضمير الذي اتصل بها .

---

[126] / ينظر الكتاب ج2 ص153

[127] / مظر ج4 ص117

[128] / ينظر البسيط في شرح جمل الزجاجي ج2ص741 ، 742

قلت : ذكر أبوعلي أنه ليس مرتفعاً بكان ، وإنما هوتوكيد الضمير الذي في (لنا)) إن جعلته صفة وللضمير الذي في (جيران) إن جعلت (لنا) متعلقاً بجيران وقعت كان بين (لنا) والضمير المؤكد كان الأصل : وجيران لنا هم ثم أدخلوا كان فصار (وجيران لنا كان هم كراماً) ، فاستقبحوا اللفظ وهومجئ الضمير المنفصل المنفرد الغائب بعد كان غير متصل بها فوضعوا مكانه الضمير المتصل فاتصل بكان ليزول قبح اللفظ ولهذا نظائر كثيرة) [129] ، وهذا الجواب قريب مما ذكرناه في الضمير المستكن في (كان) في توجيه الزمخشري لقراءة اليزيدي ، وقال أبوحيان عن توجيهه إنه ضعيف وهوتوجيه شاذّ ، وسكت عن بيان وجه الضعف فيه ، ويظهر لي أن مرد هذا الضعف كون اسم (كان) وهوالضمير المستكن فيها هوعين الضمير الذي يقدره في جملة الخبر، لم يذكر ابن جني قراءة اليزيدي في (المحتسب) وذكرها أبوالبقاء العكبري في (إعراب القراءات الشواذ) [130] قال : "قوله تعالى : (وإن كانت لكبيرة) ُقرأ بالرفع ، وفيه وجهان : أحدهما : أن جعله فاعل كان ، وجعل كان تامة واللام زائدة ، والوجه الثاني : أنه ألغى كان وإن مخففة من الثقيلة ، فكأنه قال : وإنها لكبيرة ، كما قال في الآية الأخرى (وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين) [131]" ، والتخريج الثاني الذي ذكره العكبري هوتخريج الزمخشري كما رأينا .

---

[129] / ينظر المبسط في شرح جمل الزجاجي ج2 ص 743

[130] / الخطوط ، لوحة 50 ، 51

[131] /البقرة : 45

11- حذف خبر (لا أبرح)

قال تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾[132] ، قال الزمخشريّ : (فإن قلت : (لا أبرح) إن كان بمعنى لا أزول من برح المكان فقد دل على الإقامة لا على السفر ، وإن كان بمعنى لا أزال فلا بد من الخبر قلت : هوبمعنى لا أزال وقد حذف الخبر ؛ لأن الحال والكلام معاً يدلان عليه أما الحال فلأنها كانت حالة سفر وأما الكلام فلأن قوله (حتى أبلغ مجمع البحرين) غاية مضروبة تستدعي ما هي غاية له ، فلا بد أن يكون المعنى (لا أبرح أسير حتى أبلغ مجمع البحرين)، ووجه آخر وهوأن يكون المعنى لا يبرح سيرى حتى أبلغ ، وعلى أن (حتى أبلغ) هوالخبر ، فلما حذف المضاف أقيم المضاف إليه مقامه وهوضمير المتكلم ، فانتقل الفعل عن اللفظ الغائب إلى لفظ المتكلم وهووجه لطيف) [133].

ونقل أبوحّيان كلام الزمخشري السابق وتعقبه قائلاً : (هما وجهان خلطهما الزمخشري أما الأول فجعل الفعل مسنداً إلى المتكلم لفظاً وتقديراً وجعل الخبر محذوفاً كما قدره ابن عطية "حتى أبلغ" فضله متعلقة بالخبر المحذوف وغاية له ، والوجه الثاني : جعل "لا أبرح" مسنداً من حيث اللفظ إلى المتكلم ومن حيث المعنى إلى ذلك القدر

---

[132] / الكهف : 6

[133] / الكشاف ج2 ص490

المحذوف وجعل (خبر) [134] لا أبرح هو "حتى أبلغ" فهوعمدة ؛ إذ أصله خبر المبتدأ ؛ لأنه خبر أبرح) [135].

المناقشة والترجيح:

ذكر الزمخشري أن (لا أبرح) في الآية المسألة من برح الناقصة ، وأجاز في خبرها وجهين:

الأول : أن يكون خبرها محذوفاً للدلالة عليه والتقدير لا أبرح أسير.

والثاني : أن يكون خبرها (حتى أبلغ) وأصل ا لكلام ؛ لا يبرح سيري حتى أبلغ ، ف (سيري) اسم (يبرح) ثم حذف المضاف وأقيمت الياء مقامه فانقلبت من البروز الحر إلى الرفع ، والاية :((وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا)) وانقلب الفعل من الغيب إلى التكلم وبقي (حتى أبلغ) على حاله وهوالخبر . وذكر أبوالبقاء العكبري [136] الوجهين السابقين في خبر (لا أبرح) ولست أميل إلى ثانيهما لكثرة التأويل فيه وإن استلطفه الزمخشريّ .

---

[134] / هذه الكلمة ساقطة من (البحر المحيط) والإعراب قائم عليها

[135] / البحمر المحيط ج6 ص144

[136] / ينظر البيان ج2 ص854

وتعقب أبوحيان كلام الزمخشري ، كما رأينا ، وقال : إنه خلط الوجهين السابقين في خبر (لا أبرح) وجعلهما وجهاً واحداً ، وتابعه في هذه الدعوى تلميذه السمين الحلبي [137] .

والحق أن الزمخشري برئ من تهمة الخلط، ومن هذا الخلط أن أبا حيان اعتمد على نسخةً من الكشاف نقص منها سطر تسبب في تداخل الكلام فظن أبوحيان أن الزمخشريّ خلط بين الوجهين السابقين ، وسأنقل كلام الزمخشريّ كما جاء في (البحر المحيط) [138] وسأضع السطر الساقط بين قوسين ؛ لدى مكان السقط كيف تسبب هذا السقط تداخل الكلام وخلط الوجهين ، قال أبوحيان : "قال الزمخشري : فإن قلت : لا أبرح إن كان بمعنى لا أزول من برح المكان فقد دل على الإقامة لا على السفر ، وإن كان بمعنى لا أزال فلا بد من الخبر قلت: هوبمعنى لا أزال وقد حذف الخبر ؛ لأن الحال والكلام معاً يدلان عليه ، أما الحال فلأنها كانت حال سفر وأما الكلام فلأن قوله "حتى أبلغ مجمع البحرين" غاية مضروبة تستدعي ما هي غاية له ، فلا بد أن يكون المعنى [لا أبرح أسير حتى أبلغ مجمع البحرين ووجه آخر وهوأن يكون المعنى] لا يبرح مسيري حتى أبلغ على أن "حتى أبلغ" هوالخبر . فلما حذف المضاف أقيم

[137] / الدر المصون ج 7 ص 518
[138] / الدر المصون ج7 ص518

المضاف إليه مقامه وهوضمير متكلم فانقلب الفعل من ضمير الغائب إلى لفظ المتكلم هووجه لطيف"

12- وقوع إنّ مع اسمها وخبرها خبراً ل إنّ

قال تعالى :(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) [139].

قال الزمخشري (وأن دخلت إنّ على كل واحد من جزأي الجملة لزيادة التوكيد ونحوه) ويقول جرير:

إنّ الخليفة إن الله سربله سربال ملك به ترجى الخواتيم [140]

قال أبوحيان معقباً على قول الزمخشري: "وظاهر هذا أنه شبه البيت بالآية وكذلك قرنه الزجاج بالآية ولا يتعين أن يكون البيت كالآية ؛ لأن البيت يحتمل أن يكون خبراً "إن الخليفة" قوله "به ترجى الخواتيم" ويكون "إن الله سربله سربال ملك" جملة اعتراضية بين اسم إن وخبرها خلاف الآية فإنه يتعين قوله "إن الله يفصل" وحسن دخول إن على الجملة الواقعة خبراً ، طول الفصل بينهما بالمعاطيف" [141]

---

[139] / الحج : 17
[140] / الكشاف ج 3 ص 8
[141] / االبحر المحيط ج 6 ص 359

المناقشة والترجيح:

ذهب الزمخشري ، كما يفهم من كلامه إلى أنّ خبر إن الأولى في المسألة هوإنّ الثانية مع اسمها وخبرها وهوقوله (إنّ الله يفصل بينهم) أدخلت إن على كل واحد من جزأي الجملة لزيادة التوكيد ونظر الزمخشري للآية بقول جرير:

إنّ الخليفة إنّالله َ سربله سربال ملك به ترجى الخواتيم

حيث قدمت إنّ الثانية مع اسمها وخبرها في قوله "إنّالله َ سربله ..." خبراً لـ "إن الخليفة" ، واعترض أبوحيان على تنظير الزمخشري للآية والبيت بأنّ البيت لا يتعين فيه أن يكون "إن الله سربله .." خبراً لـ "إن الخليفة" إذ يحتمل أن يكون خبر قوله "به ترجى الخواتيم". ويكون "إن الله سربله سربال ملك" اعتراضاً بين اسم إن وخبرها ، بخلاف الآية يتعين فيها أن يكون قوله "إن الله يفصل بينهم "خبراً للأولى .

قلت : الزمخشري نظر للآية والبيت على الإعراب المشهور فيه والمشهور فيه يكون "إن الله سربله سربال مل " خبر لـ "إن الخليقة"

ومثل نظر الزمخشري الآية بالبيت فعل غيره كالفراء [142] والزجاج [143] وأبي القاسم الزجاجي [144] والطوسي [145].

---

[142] / ينظر معاني القرآن ج3 ص218

[143] / ينظر معاني القرآن وإعرابه ج3 ص 417 ، 418

[144] / ينظر مجالس العلماء ص 2222

[145] ينظر تفسيره"التبيان" ج7 ص217

ولست أرفض ما احتمله أبوحيان في البيت من كون "إن الله سربله سربال ملك" واعتراضاً بين اسم إن وخبرها وهوجملة "به ترجى الخواتيم" . ولكن هذا لا يمنع النظر بين الآية والبيت على الوجه الأول المشهور فيه ، وقول أبي حيان : "يتعين في الآية أن يكون قوله : " إلّاالله َ يفصلُ بينهم " خبراً ل إنّ الأولى " لأن الآية محتملة لوجهين آخرين نقلهما أبوالبقاء العكبري: [146]

أحدهما : أن يكون الخبر محذوفاً ، تقديره "مفترقون يوم القيامة" أونحوذلك والمذكور تفسير له ، والآخر : (إن) الثانية تكرير للأولى ، ولكن يبقى الإعراب الأول هوكون "إنّ الله َ يفصل بينهم" خبرٌ ل إنّ الأولى والإعراب المشهور الظاهر .

[146] / ينظر التبيان ج2 ص736 ، وينظر أيضاً الدر المصون ج8 ص266

15- نيابة الجملة عن الفاعل

أجاز الزمخشري أن تنوب الجملة عن الفاعل ففي قوله تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [147]جعل الزمخشري جملة "لا تفسدوا في الأرض" نائبة مناب الفاعل ، أّما أبوحيان فقد تابع البصريين في منع نيابة الجملة من الفاعل ، قال في البحر المحيط ، قوله تعالى: "وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض"

حذف فاعل القول هنا للإبهام فيحتمل أن يكون الله تعالى أوالرسول (ص) أوبعض المؤمنين ، وكل من هذا قد قبل ، والمفعول الذي لم يسم فاعله فظاهر الكلام أنها الجملة المصدرة بحرف النهي وهي "لا تفسدوفي الأرض" إلا أن ذلك لا يجوز إلا على مذهب من أجاز وقوع الفاعل جملة وليس مذهب جمهور البصريين ، وخرجه على مذهب جمهور البصريين أن المفعول الذي لم يسّم فاعله هومضمر بعده "هو" يفسره سياق الكلام ، والمعنى (إذا قيل لهم قول شديد) ، فأضمر هذا القول الموصوف ، وجاءت الجملة بعده مفسرة فلا موضع لها من الإعراب ؛ لأنها مفسرة لذلك المضمر ، وزعم الزمخشريّ أنّ المفعول الذي لم يسّم فاعله هوللجملة التي هي"لا تفسدوا" وجعل ذلك من باب الإسناد اللفظي ونظر إليه ب(زعموا مطية الكذب) .

[147] / البقرة 11

قال أبوحيان : فلم يجعله من باب الإسناد إلى معنى الجملة ؛ لأن ذلك لا يجوز على مذهب جمهور البصريين ، فعدل إلى الإسناد اللفظي وهوالذي لا يختص به الاسم بل يوجد في الاسم والفعل والحرف والجملة ، وإذا أمكن الإسناد المعنوي لم يُعدل إلى الإسناد اللفظي . وقد أمكن ذلك بالتخريج الذي ذكرناه" [148]

المناقشة والترجيح:

موطن الخلاف في هذه المسألة ينحصر في نيابة الجملة عن الفاعل فالزمخشري يجيز نيابتها عن الفاعل ، وأبوحيان يمنع نيابتها عن الفاعل ، ولعلّ الحديث عن نيابة الجملة من الفاعل يستلزم من أن نقدم له بالحديث عن وقوع الجملة فاعلاً ؛ لأن النحاة ربطوا بين نائب الفاعل والفاعل في كثير من الأحكام ، ومجئ الفاعل جلمة اختلف فيه النحاة على ثلاثة مذاهب [149] :

الأول: المنع مطلقاْ وهورأي البصريين وكثير من النحاة .

والثاني: الجواز ، وهورأي الكوفيين واستدلوا بقوله تعالى : (ثُمَّ بَدَا لَهُم مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّه)

وأجاز هشام الضرير وثعلب مجئ الفاعل جملة إجازة مطلقة نحو"يعجبني خرج زيد"

---

[148] / البحر المحيط ج1 ص64

[149] / ينظر المغني ج2 ص448 ، 449 وهمع الهوامع ج2 ص 272 وحاشية الصبان ج2 ص29

والثالث: هورأي الفراء وجماعة من النحاة أن جوازه مشروط بشرطين : أولهما : أن يكون الفعل المسند قلبياً ، والثاني : أن تقرن الجملة المسند إليها بأداة معلقة مثل ظهر لي أقام زيد أم عمرو، وبدا لي أنت صادق ويبدوأن الرأي الأول أكثر الآراء قبولاً عند الدارسين ، ويعكر صفوهذا الرأي عدد من الآيات يدل سياق الكلام فيها على أنّ الفاعل جملة ، كقوله تعالى (ثُمَّ بَدَا لَهُم مِنْ بَعْدِ مَا رَأُوا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّه) .

وحين اصطدم أصحاب هذا الرأي بهذه الآيات لجأوا إلى التأويل لتسلم لهم القاعدة التي أصلوها وهي أن الفاعل لا يكون جملة . يقول ابن الأنباري في توجيه قوله تعالى : "ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه" فاعل بدا فيه ثلاثة أوجه :

الأول :أن يكون الفاعل مصدراً مقراً يدل عليه بدا ، وتقديره ثم بدا لهم بداًء ، وأظهر الشاعر في قوله *بد لك من تلك القلوص بداء* وإليه ذهب المبرد.

والثاني: أن يكون الفاعل ما دل عليه (ليسجننه) وقام مقامه ، وإليه ذهب سيبويه

والثالث:أن يكون الفاعل محذوفاً وإن يكن في اللفظ ما يقوم مقامه وتقديره ، "ثم بدا له رأي" ، وهكذا تأّولوا الآيات الأخرى .

وأما ما ذهب إليه الكوفيون من جواز مجئ الفاعل جملة ، وما هذب إليه هشام وثعلب من اطراد ذلك ؛ لان الشواهد التي جاء فيها الفاعل جملة قبله ، ولا يمكن أن تبنى القواعد على مثل هذا العدد القليل من النماذج ، فلم يبقً إلا أن نضع قاعدة جانبية غير

عامة أي قاعدة جزئية مشروطة تحكم ورود مثل هذه الظاهرة [150]. ولعل الفراء وجماعة من النحاة رسموا لنا الطريق ، إذ اشترطوا أن يكون الفعل قلبياً ، والجملة معلقة بأحد المعلقات ، وهذا الاتجاه أقرب إلى واقع اللغة ويساير المنهج الوصفي الحديث في دراسة اللغة.

أما وقوع جملة نائب فاعل فأمره ليس أسهل من وقوعها فاعلاً والسبب في ذلك أن الجملة النائبة عن الفاعل ، قبل بناء الفعل المجهول كانت في محل نصب مفعولاً به ولما بني الفعل للمجهول نابت عن الفاعل على القياس في إنابة المفعول به عند حذف الفاعل. فالأصل في قوله تعالى : "وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض" هو: إذا قال لهم الله أوالرسول أوالمؤمنون ، على خلاف في الفاعل ، لا تفسدوا في الأرض ، فجملة "لا تفسدوا" مقول القول هي في محل نصب مفعولاً به ، فلما حذف الفاعل أقيمت جملة مقول القول "لا تفسدوا" مقام الفاعل ونابت عنه ، وهذا اختيار الزمخشريّ في هذه الآية وهوأمر ظاهر وسهل لا تكلف فيه ولا تعسف ، إلا أن أبا حيان لم يرض به وتابع جمهور البصريين في منع نيابة الجملة عن الفاعل ، ووقفوا من الآية السابقة وأمثالها موقف التأويل من أجل أن تطرد لهم القاعدة ، فتأولوا الآية السابقة على أن المفعول الذي لم يسم فاعله مضمر تقديره "هو" يفسره سياق الكلام، والمعنى وإذا قيل لهم قول

[150] / ينظر في بناء الجملة العربية د. محمد حماسة عبد اللطيف ص64

شديد فأضمر هذا القول الموصوف ، وجاءت الجملة بعده مفسرة فلا موضع لها من الإعراب؛ لأنها مفسرة لذلك المضمر الذي هوالقول الشديد.

وما ذهب إليه البصريون ومن تابعهم فيه تكلف وتعسف في التأويل ، كما ترى ولا ضرورة تدعوإليه ؛ إذ ليس هناك ما يمنع من الأخذ بالظاهر فتكون جملة "لا تفسدوا في الأرض" نائبة عن الفاعل ؛ لأن فعل القول يحكي به الجمل ، يقول الرضي : "إذا كانت الجملة محكّية جاز قيامها مقام الفاعل ؛ لكونها محكّية بالمفرد ، أي اللفظ نحوقوله تعالى : "قيل يا أرض ابلعي ماءك" أي قي هذا القول وهذا اللفظ"[151]

وتتبع الدكتور محمد سليمان ياقوت [152] الفعل المبني للمجهول في القرآن الكريم فوجد أن الفعل الماضي المبني للمجهول "قيل" يشيع مجئ نائب فاعله جملة كما في الآيات التالية :

(1) (وإذا قيل لهم تعالوا) ثلاث آيات [153]

(2) (وإذا قيل لهم آمنوا) آيتان [154]

(3) (وإذا قيل لهم اتبغوا ...) [155]

(4) (وإذا قيل لهم لا تفسدوا) البقرة / 11

---

[151] / شرح الرضي على الكافية ج1 ص83

[152] / ينظر كتابه المبني للمجهول في الدرس النحوي والتطبيق في القرآن الكريم ص 108 ، 109

[153] / النساء : 61 ، والمائدة : 104 ، والمنافقون : 5

[154] / البقرة : 13 ، 91

[155] / البقرة 17 ، ولقمان : 21

(5) (وإذا قيل له اتق) البقرة / 206

(6) (وقيل لهم تعالوا) آل عمران / 167

(7) (إلى الذين قيل لهم كفوا) النساء / 77

(8) (إذا قيل لهم اسكنوا) الأعراف / 161

(9) (وإذا قيل لكم انفروا) التوبة / 38

(10) (وقيل أقعدوا مع القاعدين)التوبة / 46

(11) (ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا) يونس / 52

(12) (وقيل يا أرض ابلعي) هود / 44

(13) (فيل يا نوح اهبط) هود / 48

(14) (وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم) النحل 24

(15) (وقيل للذين اتقوا ماذ أنزل ربكم) النحل 30

(16) (وإنقيل لكم ارجعوا) النور / 28

(17) (وإذا قيل لهم اسجدوا) الفرقان / 60

(18) (وقيل الناس هل أنتم مجتمعون) الشعراء / 39

(19) (وقل لهم أين ما كمنتم تعبدون) الشعراء / 62

(20) (قيل أهكذا عرشك) النمل / 42

فهل من المنهج السليم أن نأخذ برأي البصريين ومن تابعهم . ونلجأ إلى التأويل في هذه الآيات كلها ؟ كلا إن المنهج السليم يقتضي أن تأخذ بظاهر هذه الآيات دون تأويل ، وأن تجوز إنابة الجملة عن الفاعل بعد القول ، كما أجازها الزمخشريُّ ، وغيره من النحاة ، وقد كان ابن هشام موفقاً في رده على البصريين الذين يمنعون إنابة الجملة عن الفاعل ، وقال في "المغني" بعد أن عرض مذهب البصريين وأنهم يقدرون نائب الفاعل في قوله تعالى : "وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض" ضمير المصدر وجملة النهي مفسرة لذلك الضمير قال "والصواب أن النائب الجملة ؛ لأنها كانت قبل حذف الفاعل منصوبة بالقول فكيف انقلبت مفسرة ؟ والمفعول به متعين للنيابة ، وقولهم "الجملة لا تكون فاعلاً ولا نائباً عنه"" وجوابه أن التي يراد بها لفظها يُحكم لها بحكم المفردات ولهذا تقع مبتدأ نحو"لا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة" وفي المثل "زعموا مطية الكذب" ومن هنا لم يحتج الخبر إلى رابط في نحو"قولي لا إله إلا الله" كما لا يحتاج إليه الخبر المفرد الجامد"[156]

[156] المغني ج2 ص449

16- تعدية الفعل أظلم

أجاز الزمخشري أن يكون الفعل "أظلم" لازماً ومتعدياً ، فعند تفسير قوله تعالى :

(كُلَّما أَضاءَ لَهُم مَشَوا فِيهِ وَإِذا أَظْلَمَ عَلَيْهِم قامُوا) [157]

قال الزمخشري : "أظلم" يحتمل أن يكون غير متعدٍ وهوالظاهر ، وأن يكون متعدياً منقولاً من ظَلَم الليل، وتشهد له قراءة يزيد بن قطيب "أظلم" على ما لم يسم فاعله . وجاء في شعر حبيب بن أوس:

هما أظلما حالي ثمت أجليا ظلاميهما عن وجه أمر أشيب

وهوإن كان محدثاً لا يستشهد بشعره في اللغة فهومن علماء العربية فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه ؛ ألا ترى إلى قول العلماء الدليل عليه بيت الحماسة فيقتنعون بذلك ؛ لوثوقهم بروايته " [158]، ويرى أبوحيان أن الفعل "أظلم" لازم وردّ على الزمخشري إجازته تعديته ، قال في "البحر" : وله عندي تخريج غير ما ذكر الزمخشريّ وهوأن يكون "أظلم" غير متعدٍ بنفسه لمفعول ولكنه يتعدى بحرف جر ، ألا ترى كيف عدى أظلم إلى المجرور بعلى ، فعلى هذا يكون الذي قام مقام الفاعل " [159] هوالجار والمجرور مقامه نحو(غضب زيدٌ على عمرو) ، ثم حذف زيداً وتبني الفعل للمفعول،

---

[157] / البقرة : 200

[158] / الكشاف ج1 ص 220 ، 221

[159] / هكذ جاء في الأصل في الطبعة التي لدي من البحر وهي طبعة دار الفكر ، ويظهر لي أن هذه الكلمة (أوحذف) منقحمة في النصكما يفهم من السياق

(فتقول غُضب على عمرو) فليس يكون التقدير إذ ذاك (إذا أظلم الله الليل) فحذفت اسم الجلالة وأقيم ضمير الليل مقام الفاعل ، وأما ما وقع في كلام حبيب فلا يستشهد به . وقد نُقد على أبي علي الفارسي الاستشهاد بقول حبيب:

ومن كان مرعى عزمه وهمومه روض الأماني لم يزل مهزولا، وكيف يُستشهد بكلام من هومولد وقد صنف الناس فيما وقع له من اللحن في شعره" [160]

المناقشة والترجيح:

المشهور أن الفعل "أظلم " لازم ، وأجاز الزمخشري مجيئه متعدياً مستدلاً بأمرين :

1) قراءة يزيد بن قطيب "وإذا أُظلم" بالبناء للمجهول.

2) مجي الفعل "أظلم"متعدياً في بيت لأبي تمام حبيب بن أوس وهو:

هما أظلما حالي ثمت أجليا ظلاميهما عن وجه أمرد أشيب [161]

وقال أبوالعلاء المعري معلقاً على بيت أبي تمام : "جعل أظلم هاهنا متعدياً ، وذلك قليل في الاستعمال ، وهوفي القياس جائز ، وهوعلى قياس ظلم الليل في معن أظلم ، فإن أُدعي أن "أظلم" هاهنا غير متعدٍ ، وأن "حالّي" منصوب كانتصاب الظرف ، فإن قوله

---

[160] / البحر ج1 ص91

[161] / البيت في ديوان أبي تمام ص 21 ، وهومن قصيدة لأبي تمام مدح بها عياش بن ربيعة الحضرمي والضمير (هما) يعود إلى الفعل والدهر في البيت الذي قبله وهو:
أحاولت إرشادي ؟ فعقلي مرشدي أم أم استمت تأديبي؟ فدهري مؤدبي

"أجليا ظلاميهما" يدفع ذلك ؛ لأنه عدى "أجليا" إلى الطلامين" [162] وكلا الأمرين الذين استدل بهما الزمخشريّ على تعدية الفعل "أظلم" مردود عند أبي حيان ، فقراءة يزيد بن قطيب "وإذا أظلم" بالبناء للمجهول لا دليل فيها على تعدية "أظلم" لاحتمال أن الأصل . كما قال أبوحيان : إذا أظلم الليل عليهم ، فلما بُني الفعل للمجهول وحذف "الليل" قام الجار والمجرور "عليهم" مقامه ، واعترض أبوحيان هذا صحيح وإن كان الأكثر بناء للمجهول من الفعل المتعدي نفسه ، واستشهاد الزمخشري ببيت أبي تمام السابق مردود عن أبي حيان ؛ لأن أبا تمام مولَّدٌ لا يستشهد بشعره ، وهذا الاعتراض يجبرنا على الحديث عن موقف النحاة من الاستشهاد بشعر المولدين ، يقول السيوطي : "أجمعوا على أنه لا يعتد بكلام المولدين والمحدثين في اللغة العربية ، ثم قال : " أول الشعراء المحدثين بشار بن برد" وقد احتج سيبويه [163] في "كتابه " ببعض شعره تقرّباً إليه ؛ لأنه هجاه لتركه الاحتجاج بشعره ، ذكره "المرزباني" وغيره ، ونقل ثعلب عن الأصمعي قال : ختم الشعر بإبراهيم بن هرمة وهوآخر الحجج " [164] وذكر البغدادي [165] أن العلماء قسموا الشعراء إلى طبقات أربع:

الأولى : وهم الشعراء الجاهليون.

---

[162] / ينظر شرحم الخطيب التبريزي لديوان أبي تمام ج1 ص 150

[163] /نفى هذه الدعوى نفياً قاطعاً استاذان جليلان هما الاستاذ : علي النحوي ناصف في كتابه سيبويه إمام النحاة ص 152 ، 153 ، والجكتور : محمود فجال في مقدمة تحقيقه لكتاب "الاقتراح" للسيوطي.

[164] / الاقتراح في أصول النحوص 181

[165] / الخزانة ج1 ص 5 ، 6

الثانية : المخضرمون وهم الذين عاشوا في الجاهلية والإسلام.

الثالثة : الإسلاميون من طبقة جرير والفرزدق .

الرابعة : المولدون ، ويقال لهم المحدثون ، كبشار بن برد وأبي نواس.

فالطبقتان الأولى يُستشهد بشعرهما إجماعاً ، وأما الثالثة فالصحيح صحة الاستشهاد بكلامها ، وأما الرابعة فيقول البغدادي : الصحيح أنه لا يستشهد بكلامها مطلقاً ، وقيل يستشهد بكلام من يوثق به منهم ، واختاره الزمخشري ، ولم يكن الزمخشري مبتدعاً في استشهاده بشعر أبي تمام فقد سبقه إلى الاحتجاج بشعر أبي تمام أوعلي الفارسي (ت: 377هـ) ؛ إذ استشهد في الإيضاح [166] بيت لأبي تمام هو

من كان موعي عزمه وهمومه روض الأماني لم يزل مهزولاً

وذكر أستاذنا الدكتور محمود الطناحي [167]، في مقدمة تحقيقة لـ "كتاب الشعر" أن أبا علي الفارسي استشهد في كتابه هذا ببيتين من الشعر في قضايا إعرابية لشاعرين محدثين هما أبومحمد اليزيدي وأبوتمام ، وتابع أبوعلي والزمخشري في الاستشهاد بشعر أبي تمام ، أبا القاسم السهيلي (ت: 581هـ) ،وذكر أستاذنا الدكتور محمد البنا [168] أن السهيلي احتج بشعر أبي تمام في كتابه النتائج والروض الأنف ، ويقول السهيلي معللاً لاحتجاجه بشعر أبي تمام : "وإنّما نحتج بقول الطائي وهوحبيب بن أوس لعلمه ، لا

[166] / ينظر الإيضاح ص 102 وأبوعلي الفارسي للدكتور عبد الفتاح شلبي ص 529
[167] / ينظر مقدمة تحقيقه لـ "كتاب الشعر" ص 73 ، 74
[168] / ينظر كتابه "أبوالقاسم السهيلي" ومذهبه النحوي ص 276 ، 277

لأنه عربي يحتج بلغته" [169]، ويقول في موضع آخر "والطائي" وإن كان مولدًا فإنما يحتج به لتلقى أهل العربية له القبول وإجماعهم على أنه لم يلحن " [170] ، وتابع هؤلاء في الاستشهاد بشعر أبي تمام الرضي (ت: 688هـ) وفاستشهد في عدة مواضع من شرحه الكافية بأشعار أبي تمام قال صاحب الخزانة [171] ، فهؤلاء النحاة كما رأيت قبلوا أشعار أبي تمام واحتجوا بها ، لعلمه ولوثوقهم به ولكن أبا حيان ، كما سبق ، رد على الزمخشري استشهاده ببيت أبي تمام الذي احتج به على تعدية الفعل أظلم وهوقوله :

هما أظلما حالي ثمت أجليا ظلاميهما عن وجه أمرد أشيب

قال أبوحيان : وأما ما وقع في كلام حبيب فلا يستشهد به وكيف يستشهد بكللام من هومولد، قلت: لم يثبت أبوحيان على موقفه هذا وحّرم على الزمخشريّ ما إباحه لنفسه ؛ لأنه استشهد في كتابه "ارتشاف الضرب" . كما يقول محقق [172] الكتاب بشعر المحدثين والمولدين ، فاستشهد بشعر بشّار وأبي تمام والبحتري والشريف الرضي واستشهد أبوحيان أيضاً في كتابه "التذييل والتكميل" ، كما قال محقق الكتاب بشعر المعتز وابن اللبانة الأديب الأندلسي (ت: 507هـ) والبحتري وغيرهم ... وقال المحقق بعد أن ذكر استشهاده بأشعار هؤلاء المحدثين : "ولا يعترض معترض بأنه أورد هذه الشواهد للتمثيل فقط ، بل بمراجعة مواضعها ومواطن الاستشهاد بها ويلاحظ مدى اعتماده عليها في

---

[169] / الروض الأنف ج3 ص49
[170] / المصدر السابق ج3 ص144
[171] / ينظر ج1 ص6
[172] / نظرما قال د. مصطفى النماس في مقدمته لتحقيق"ارتشاف الضرب" ص 20 ، 21 ، 22

الاحتداد لما ذكر ، ولم يوردها بعد اثبات القاعدة استئناساً وتمثيلا " [173] ، وأعود إلى أصل المسألة في تعدية الفعل "أظلم" فأقول : إن ما ذهب إليه الزمخشريّ من جواز تعدية الفعل "أظلم" مقبول عندي ؛ لأنه حتى لولم تثبت تعدية الفعل "أظلم" ببيت أبي تمام الذي ساقه الزمخشري في "الكشاف" ؛ الذي علمته من خلاف العلماء في الاستشهاد بشعر ألمحدثين أثبت تعديته بنقل الأزهري ؛ نقل في التهذيب [174] أن الفعل "أظلم" يكون لازماً ومتعدياً ، "وحسبك بالأزهري فهم من الثقاة ومن ثم اتكأ الشهاب الخفاجي على نقل الأزهري في إثبات تعدية الفعل "أظلم" فبعد أن ذكر خلاف العلماء في الاحتجاج بأشعار المولدين ، وأن منهم من اعترض على الزمخشري في استشهاده ببيت لأبي تمام السابق ، وقال الشهاب : "ثم إنه لا حاجة لمخالفة الجمهور فيه مع وجود ما يغني عنه وهوأن الأزهري وناهيك به ، قال في التهذيب : كل واحد من "أضاء وأظلم "يكون لازماً ومتعدياً وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل" [175]

وأجاز ابن أبي الربيع تعدية الفعل "أظلم" قال : وقرئ في الشاذ : "وإذا أظلم" بضم الهمزة ، وهذا يقوي أن أظلم هنا متعدية ، ويقال : أظلم المكان ، وأظلمه الغيم ويستعمل أظلم غير متعدية " [176]

---

[173] / ينظر مقدمة د. حماد حمزة البحيري في تحقيقه لكتاب "التذييل والتكميل" ص 50

[174] / التهذيب مادة "أظلم" ج14 ص382

[175] / حاشية الشهاب على البيضاوي ج1 ص 407

[176] / ينظر تفسير القرآن الكريم لابن أبي الربيع ، الجلد لأول ص 161 ، تحقيق صالحة راشد بن غنيم آل غنيم ، رسالة الدكتوراة ، مكتبة مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى ، رقم 1361

17- مجئ الفعل (درس) بمعنى بلي متعدياً

قال تعالى : " وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ ..." [177]قرئ الفعل "درست" على أوجه متعددة ، منها " دُرِسَتْ" على البناء للمفعول ، قال أبوحيان : قرأ قتادة والحسن وزيد بن على " دُرِسَتْ" مبنياً للمفعول فيه ضمير الآيات غائباً وهي قراءة ابن عباس بخلاف عنه ، قال أبوالفتح [178] : ويحتمل أن يراد عفيت أوتليت وهكذا قال الزمخشري قال بمعنى ، عُفيت ، أما (دَرَسَ) بمعنى بلي وانمحي فلا أحفظه متعدياً وما وجدناه في أشعار من وقفنا على شعره من العرب لازماً " [179]

المناقشة والترجيح:

ذكر الزمخشري قراءة " دُرِسَتْ" بالبناء للمفعول وفسرها بـ "قرئت أوعفيت" وقد سبقه إلى هذا التفسير أبوالفتح كما قال أبوحيان ، وقبل أبوحيان تفسير أبي الفتح والزمخشري لـ " دُرِسَتْ" بـ "قرئت"لا واعترض على تفسيرهما لـ " دُرِسَتْ" بـ "عفيت" ؛ لأنه لم يثبت عنده مجئ (دَرَسَ) بمعنى بلي متعدياً ، فكيف يرفع ضمير الآيات المستتر على أنه نائب فاعل؟ وقد كان أبوحيان مرناً حين قال : "أما (دَرَسَ) بمعنى بلي وانمحى فلا أحفظه متعدياً ..." فهولم يعمم الحكم ولم يجزم بأن (دَرَسَ) لم يأت متعدياً وإنما قصر ذلك على

---

[177] / الأنعام : 105
[178] / ينظر رأيه في "المحتسب" ج1 ص226
[179] / البحر المحيط ج4 ص197

محفوظة ، وكان تلميذه السمين الحلبي أكثر إنكاراً منه لتعدية (دَرَسَ) إذا كان بمعنى بلي ، قال معقباً على قول أبي حيان : "أما (دَرَسَ) بمعنى بلي وانمحى فلا أحفظه متعدياً " لا يحتاج هذا إلى استقراء فإن معناه لا يحتمل أن يكون متعدياً ؛ إذ حدثه لا يتعدى فاعله فهوك (قام ووقف) فكما أنه لا يحتاج في معرفة تصور قاموقف إلى استقراء بل نعرفه بالمعنى فهذا كهذا" [180]

وما ذهب إليه أبوحيان وتلميذه السمين من أن (دَرَسَ) بمعنى بلي لم يأت متعدياً يبطله ما نقله أصحاب المعاجم من الفعل (دَرَسَ)بمعنى عفا ورد لازماً ومتعدياً

يقول الجوهري [181] : درس الشئ والرسم ، يدرس دروساً : عفا ، ودرسته الريح يتعدى ولا يتعدى ، درسته القوم : عفوا أثره" واعتماداً على نقله الجوهري وابن منظور يصح تفسيره أبوالفتح والزمخشري لقراءة " دُرِسَتْ" بـ "عفيت"

18- عمل القول من المفردات

قال تعالى : (وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ) [182] ، قرأ ابن أبي عبلة "قولوا حطةً " بالنصب ، قال الزمخشري في توجيه هذه القراءة :"فإن قلت : هل يجوز أن تنصب "حطةً " في قراءة من نصبها يقولوا على معنى قولوا هذه الكلمة قلت : لا يتعد"

---

[180] / الدر المصون ج5 ص97
[181] / الصحاح مادة (دَرَسَ) ج3 ص 927
[182] / البقرة : 58

[183] ، ويتعقب أبوحيان الزمخشري في توجيهه لهذه القراءة ، فقال في البحر المحيط : "ما جوزه ليس بجائز ؛ لأن القول لا يعمل في المفردات ، إنما يدخل على الجمل للحكاية فتكون في موضع المفعول به إلا أن كان المفرد مصدراً نحوقلت قولاً " أوصفة لمصدر نحوقلت حقاً أومعبراً به"عن جملة نحوقلت شعراً ، قلت خطبةً ، على أن هذا القسم يحتمل أن يعود إلى المصدر لأن الشعر ولأن الشعر والخطبة نوعان من القول فصار كالقهقري من الرجوع ، وحطة ليس واحداً من هذه .

المناقشة والترجيح:

أجاز الزمخشري نصب "حطةً " في قراءة ابن أبي عبلة "وقولوا حطة"بالفعل قولوا وأنكر أبوحيان على الزمخشري هذا التخريج ؛ لأنّ مقولَ القول لا يكون إلا جملة ، واستثنى أبوحيان أنواعاً من المفرد يصح نصب القول لها ، إلا أن حطة ليس واحداً من هذه الأنواع وخرج أبوحيان قراءة ابن أبي عبلة على نصب "حطة" بفعل محذوف ليكون مقول القول جملة والتقدير : "حُطَّ عن ذنوبنا حِطة"، قلت : ذكر النحاة [184] نوعين من المفرد يصح نصبهما بعد القول :

الأول : المفرد المؤدي معنى الجملة كالحديث والشعر والخطبة ، نحوقلت حديثا وشعراً وخطبةً ، وهذا النوع ذكره أبوحيان في صدر المسألة.

---

[183] / الكشاف ج1 ص 283

[184] / ينظر همع الهوامع ج2 ص 244 الأشموني ج2 ص 35

الثاني: المفرد المراد به مجرد اللفظ ، على خلاف فيه ، وممن أجاز نصبه بالقول الّزجاجّي والزّمخشريّ وابن خروف وابن مالك وجعلوا منه قوله تعالى "يقال له إبراهيم" [185] أي يطلقون عليه هذا الاسم ، ولوكان الفعل مبنياً للفاعل لنصب إبراهيم

وأهمل أبوحيان هذا النوع.

ولعلي أميل إلى أن قراءة ابن أبي عبلة قولوا حطةً " بالنصب من هذا النوع الأخير ، أي أن "حطة" أريد بها لفظها ويقوى هذا الميل عندي أمران :

الأول ما ذكره صاحب الصحاح في معنى حطة ، قال : "حطة" كلمة أمر بها بنوإسرائيل لوقالوها لحطت أوزارهم" [186].

والثاني قول القرطبي "يحتمل أن يكونوا تعبدوا بهذا اللفظ بعينه وهوالظاهر من الحديث ، روى مسلم عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قيل لبني إسرائيل ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة يغفر لكم خطاياكم فبدلوفدخلوا الباب يزحفون على أستاتهم وقالوا حبة في شعرة" وأخرجه البخاري ، وقال "فبدلوا وقالوا حطة حبة في شعره وفي غير الصحيحين "حنطة في شعر.." [187] ، ويفهم من هذا الحديث الذي أورده القرطبي أن بني إسرائيل أمروا أن يقولوا حطة أي أمروا بهذه اللفظة وتعبدوا بها كما قال القرطبي

---

[185] / الأنبياء : 60

[186] / الصحاح مادة (حطط) ج3 ص119

[187] تفسير القرطبي ج1 ص411

فبدلوها وقالوا حبة في شعرة ، قيل قالوا "حنطة" وذلك معنى قوله تعالى : (فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ)[188]

وخلاصة القول عندي أن تخريج الزمخشري لنصب "حطة" في قراءة ابن أبي عبلة "قولوا حطة" على أنها مفعول به للفعل "قولوا" صحيح وأن وسم أبي حيان لإعراب الزمخشري بأنه غير جائز فيه نظر : إذ إن أكثر المعربين والمفسرين ممن وقفت على كلامهم أجازوا نصب "حطة" بالفعل "قولوا" ومنهم :

مكي بن أبي طالب [189] وابن الأنباري [190] والسمين الحلبي [191] وأبوالسعود [192] ووالشهاب [193] والألوسي [194]

19- رفع المضارع في جواب الشرط مع كون فعل الشرط مضارعاً

قال تعالى :(قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا * أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ) [195] قرأ طلحة بن سليمان [196] : (يُدْرِكُكُم) برفع الكافين ، وذكر الزمخشري في تخريجها قال : "قرئ (يُدْرِكُكُم)" بالرفع ، وقيل

---

[188] / البقرة : 59
[189] / مشكل إعراب القرآن ج1 ص48
[190] / البيان ج 1 ص 83
[191] / الدر الصون ج 1 ص 375
[192] / تفسير أبي السعود ج 1 ص 104
[193] / حاشية الشهاب على البيضاوي ج2 ص165
[194] / روح المعاني ج 1 ص 266
[195] / النساء : 77 ، 78
[196] / ينظر المحتسب ج1ص193 ، والبحر المحيط ج 3 ص 299

هوعلى حذف الفاء كأنه قيل يدرككم الموت وشبه القول بالقائل[197] : من يفعل الحسنات الله يشكرها ...

اعترض أبوحيّان على تخريج الزمخشري لرفع (يُدْرِكُكُم) بأنه حمل على يقع موقع أينما تكونوا وهوأينما كنتم : "يعني أنه جعل يدرككم ارتفع لكون أينما تكونوا في معنى أينما كنتم ، وذلك أنه متى كان فعل الشرط ماضياً في اللفظ فإنه يجوز في المضارع بعده وجهان أحدهما : الجزم على الجواب ، والثاني : الرفع ، وفي توجيه الرفع خلاف والأصح أنه ليس الجواب بل ذلك على التقديم والتأخير والجواب محذوف وإذا حذف الجواب فلا بد أن يكون فعل الشرط ماضياً ، فتخريج هذه القراءة على هذا لا يجوز ، وحمله على "ولا ناعب" ليس بجيد ؛ لأن "ولا ناعب" عطف على التوهم والعطف على التوهم لا يقاس " [198] واعترض أبوحيان على تخريج الزمخشري لموقع (يُدْرِكُكُم) على أنه مستأنف ، وأينما تكونوا متصل بقوله تعالى "لا تظلمون فتيلاً" قبله ، قال : "وهذا التخريج ليس بمستقيم لا من حيث المعنى ولا من حيث الصناعة النحوية ، أما من حيث المعنى فإنه لا يناسب أن يكون متصلاً بقوله "ولا تظلمون فتيلا" لأن ظاهر اّتقاء الظلم إنما هوفي الآخرة لقوله "قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى" وأما من حيث الصناعة النحوية فإنه على ظاهر كلامه يدل على أن أينما تظنوا متعلق بقوله "لا

---

[197] / هوحسان بن ثابت ، قيل لبنته عبد الرحمن والبيت بتمامه:
من يفعل الحسنات الله يشكرها والشر بالشر عند الله مثلان

[198] / البحر المحيط ج3 ص299

تظلمون" بمعنى ما فسّره من قوله أي لا تنقصون شيئاً مما كتب من آجالكم أينما تظنوا في حرب أوغيرها . وهذا لا يجوز ؛ لأن أينما اسم شرط فالعامل فيه إنما هو(فعل) [199] الشرط بعده ؛ ولأن اسم الشرط لا يتقدم عامله فلا يمكن أن يعمل فيه "ولا تظلمون" بل إذا جاء نحو""اضرب متى جاء" لا يجوز أن يكون الناصب لمتى أضرب فإن قال يقدر له جواب محذوف يدل عليه ما قبله وهو"ولا تظلمون" كما يقدر في " اضرب زيداً متى جاء" فالتقدير أينما تكونوا فلا تظلمون فتيلاً أي فلا ينقص شيئاً من آجالكم وحذفه لدلالة ما قبله عليه ، قيل له " لا يحذف الجواب إلا إذا كان فعل الشرط بصيغة الماضي ، وفعل الشرط هنا مضارع ، تقول العرب : أنت ظالم إن فعلت ولا تقل : أنت ظالم إن تفعل " [200]

المناقشة والترجيح:

إذا كان فعل الشرط ماضياً والجزاء مضارعاً جاز جزم الجزاء ورفعه كلاهما حسن وإذا كان فعل الشرط مضارعاً والجزاء مضارعاً وجب الجزم فيهما ، ورفع الجزاء ضعيف ، يجواز حذف الفاء من الجواب في الشعر والنثر على السواء واستشهد على حذف الفاء في النثر ببعض الأحاديث ، وقال معقباً عليها : "وهومما زعم النحويون أنه مخصوص بالضرورة وليس مخصوصاً بها بل يكثر استعماله في الشعر ويقل في غيره

[199] / الظاهر أن المراد (جواب الشرط) ؛ لأن الجواب هوالعامل في (أينما) وكلام أبي حيان بعد ذلك يدل على أن المراد (جواب الشرط) ولي فعل الشرط.
[200] / البحر المحيط ج3 ص300

، ومن خص هذا الحذف بالشعر حاد عن التحقيق وضيق حيث لا تضييق وإني أرتضي مذهب المبرد في تخريج قراءة طلحة بن سليمان (أينما تكونوا) بالرفع ، وعلى مذهب المبرد خرجها ابن جني في (المحتسب) [201] إذ جعلها على حذف الفاء ، كأنه قيل يدرككم الموت .

وأجاز الزمخشري كما رأينا تخريج القراءة على الوجه وبه بدأ ، ثم أجاز وجهين آخرين:

أحدهما : أنه قيل (يدرككم) بالرفع على توهم كون الشرط حسن رفع الجزاء واعترض أبوحيان على تخريج الزمخشري هذا هومحق في ذلك ؛ لأن تصيير (أينما تكونوا) إلى (أينما كنتم) حمل النص القرآني على غير ظاهره ؛ لأن التوهم . كما قال أبوحيان . لا تقاس ، وشرطه أن يكون ما يتوهم هوالأصل أوما كثر في الاستعمال حتى صار كالأصل كقول الشاعر [202]: مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة لا ناعب إلا بين غرابها

فجاز عطف "لا ناعب" على خبر ليس المنصوب ؛ لأن الباء تزاد بكثرة في خبر ليس ، فلما كان خبرها مظنة الباء جاز العطف عليه بالجر على توهم وجودها.

---

[201] ينظر ج1 ص 193

[202] / البيت الأخوص اليربوعي ، وهومن شواهد الكتاب ج3 ص29 ونسبه سيبويه للفرزدق وهومن شواهد أن يعيش فيي شرح الفصل ج7 ص57 ، وينظر البيت في الخزانة ج4 ص 158

أما الآية فما توهم فيها ليس كذلك ؛ لأن الأصل في فعل الشرط أن يكون مضارعاً ؛ لأن الشرط لم يقع وكل ما جاء من أفعال ماضية في الشرط أوالجواب فهي مؤوله بالمضارع.

والثاني : أنه قيل (يُدْرِكُكُم) بالرفع لأنه كلام مستأنف ، وقوله (أينما تكونوا) متصل بـ (لا تظلمون فتيلا) قبله.

واعترض أبوحيان على تخريج الزمخشري هذا ، وملخص اعتراضه أن تخريج الزمخشري غير مستقيم معنى وصناعة ، أما معنى فلأن قولهُ تعالى : "لا تظلمون فتيلا" ظاهره الاتصال بما قبله ؛ إذ أن المراد نفي الظلم في الآخرة ، وهومن تممام قوله تعالى "قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى" وأما صناعة لأنه يلزم من تخريج الزمخشري أحد محذورين ؛ لأنه إما أن يقال أن قوله تعالى "ولا تظلمون فتيلا" جواب الشرط فيلزم منه إعمال ما قبل اسم الشرط فيه ، وهولا يجوز لأن أسماء الشرط لها الصدارة.

وأما أن قال إن قوله "ولا تظلمون فتيلا" دليل الجواب وجواب الشرط محذوف فيلزم منه ححذف الجواب مع كون فعل الشرط مضارعاً . وهولا يجوز إلا إذا كان فعل الشرط ماضياً وإني أوافق أبا حيان في أن تخريج الزمخشري غير مستقيم وأن فيه بعداً ؛

إذ كيف يقطع قوله (يدرككم الموت) عما قبله وهوظاهر الاتصال به بدليل القراءة المتواترة التي تجعله جواباً لـ "أينما تكونوا" ؟ .

وما اعترض به أبوحيان على الزمخشري صحيح في مجمله إلا أن قوله إن جواب الشرط لا يحذف إلا إذا كان فعل الشرط ماضياً ، أما إذا كان فعل الشرط مضارعاً فلا يحذف الجواب ، وعليه يمتنع أن يقال : "أنت ظالم إن تفعل" والأولى به أن يفيد المنع بغير الشعر لأن سيبويه أجاز حذف الجواب في الشعر مع كون فعل الشرط مضارعه قال في (الكتاب): قد يجوز في الشعر : آتي من يأتني وقال هذلي:

فقلت : تحمل فوق طوقك إنها مطيعة من يأتها لا يضيرها

وهكذا أنشده يونس ، وكأنه قال لا يضيرها من يأتها [203] .

ومعلوم أن سيبويه كما تقدم يحمل رفع الفعل المضارع في البيت على نية التقديم ، والجواب عنده محذوف ، بقي أمر لفت نظري في هذه المسألة وهوأن أبا حيان لم ينقل عن الزمخشري تخريج قراءة طلحة بن سليمان "أينما تكونوا يدرككم الموت "بالرفع إلا الوجهين اللذين اعترض عليهما ، مع أن الزمخشري أجاز في تخريج القراءة كما رأينا وجهاً ثالثاً بدأ به وهوأن المضارع (يُدْرِكُكُّم) رفع على حذف الفاء وهومذهب المبرد كما أسلنا وقد ذكر أبوحيان هذا التخريج وحكاه عن ابن جني قال:

---

[203] / الكتاب ج3 ص70 ، 71

"وقرأ طلحة بن سليمان (يُدْرِكُكُم) برفع الكافين ، وخرجه أبوالفتح على حذف فاء الجواب أي فيدرككم الموت ، وهي قراءة ضعيفة" وبما حكاه أبوحيان عن ابن جني حق ولكنه لم يشر من قريب أومن بعيد إلى أن الزمخشري قال بهذا التخريج وبه بدأ.

الفصل الثالث:

أولاً : ما يجب فيه الفصل

أ) الفصل بين المضاف والمضاف إليه

ب)الفصل بين الصفة والموصوف

ثانياً : العطف

أ) عطف الجملة الإنشائيّة على الخبريّة

ب) العطف على الأبعد

ج) موافقة عطف البيان لمتبوعه في التعريف والتنكير

ثالثاً : الإضافة وفيه :

إضافة المصدر إلى فاعله

أ/ الفصل بين المضاف والمضاف اليه:

قال تعالى: (وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم)[204]

قال الزمخشري: " وأما قراءة ابن عامر[205] " قتل أولادهم شركائهم" برفع القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء فشئ لوكان في مكان الضرورات وهوالشعر لكان سمجا مردودا كما سمج ورد قول الشاعر:

زج القلوص ابي مزاده

فكيف به في الكلام المنثور ، فكيف به القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته ، الذي حمله على ذلك أن رأى في بعض المصاحف (شركائهم|) مكتوباً بالياء.[206]

قال أبوحيان بعد أن نقل كلام الزمخشري هذا : وأعجب بأعجمي ضعيف في النحويرد على عربي صريح محض قراءة متواترة موجود نظيرها في لسان العرب في غير ما بيت ، وأعجب لسوء ظن هذا الرجل بالقراء الذين تخيرتهم هذه الأمة لنقل كتاب الله شرقاً وغرباً وقد اعتمد المسلمون على نقلهم لضبطهم ومعرفتهم".[207]

---

[204] - الانعام ، 137.
[205] - ينظر السبع في القراءات ، ص 270.
[206] - اكشاف ،ج2 ، ص 54.
[207] - البحر المحيط ، ج4 ، ص230.

المناقشة والترجيح

الفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير الظرف والجار المجرور فيه خلاف بين نحاة الكوفة والبصرة وقد ذكر هذه المسألة ابن الأنباري في كتابه الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين)[208]،فالكوفيون أجازوا الفصل بين المضاف والمضاف اليه بالظرف والجار والمجرور وغيرهما في الشعر والنثر على السواء مستشهدين بقول الشاعر:

فزججتها بمزجة زج القلوص أبي مزاده

ولهم شواهد شعرية أخرى ذكرها ابن الأنباري في الإنصاف ومن شواهدهم النثرية ما حكاه الكسائي عن العرب: " هذا غلام – والله – زيد"؛ وما حكاه أبوعبيدة قال: سمعت بعض العرب يقول: " إن الشاة لتجتر صوت – والله - ربها" ، ومن أعلى شواهدهم استشهدوا بقراءة ابن عامر: " وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم".

أما البصريون فمنعوا الفصل بين المضاف اليه بغير الظرف والجار والمجرور محتجين بأن المضاف والمضاف اليه بمنزلة الشيء الواحد فلا يجوز أن يفصل بينهما، وإنما

[208] - ينظر النمسألة ، ج60، ص427.

جاز الفصل بينهما بالظرف وحروف الجر لاتساع العرب فيهما كما قال عمروبن قميئة:

لما رأيت سآتيها استعبرت لله در اليوم من لامها

ورد البصريون أدلة الكوفيين بردود غير مقنعة يقول ابن الأنباري[209] على لسانهم:

" وأما الجواب عن كلمات الكوفيين: أما ما أنشدة فهومع قلته لا يعرف قائل قائله فلا يجوز الاحتجاج به، وأما ما حكي الكسائي من قولهم: " هذا غلام – والله - زيد " وما حكاه أبوعبيدة عن بعض العرب من قولهم: " فتسمع صوت – والله - ربها" فنقول: إنما جاء ذلك في اليمين لأنها تدخل على أخبارهم للتوكيد ، فكأنهم لما أجازوا بها موضعها استدركوا ذلك بوضع اليمين حيث أدركوا من الكلام ، ولهذا يسمونها في مثل هذا النحولغواً ".

فأما قراءة إبن عامر فيذهب البصريون إلى ضعفها، إذ لوكانت صحيحة لكان ذلك من أفصح الكلام وفي وقوع الاجماع على خلافه دليل على القراءة بالياء ومصاحف أهل الشام (شركائهم) مكتوباً بالياء ومصاحف أهل الحجاز والعراق (شركاؤهم) بالواو.

[209] - الانصاف ،ج2، 435.

ذلك ماكان من أمر البصريين في رد قراءة ابن عامر كما حكاه عنهم ابن الأنباري، وهذا التضعييف لقراءة ابن عامر لم يقتصر على البصريين فقد امتد الي كثير من النحاة والمفسرين ، ومن ألف في القراءات واحتج لها ، ولعل أول من فتح باب الطعن على قراءة ابن عامر كما قال صاحب الخزانة [210] هوالفراء قال في معاني القرآن " وليس قول من قال (مخلف وعده رسله) ولا (زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم)

بشيء ونحويوأهل المدينة ينشدون قوله:

فزججتها بمزجة زج القلوص أبي مزاده

باطل والصواب زج القلوص أبومزاده.

وتلاه بن جرير الطبري قال بعد أن ذكر الفصل بين المتضايفين في قراءة ابن عامر (وذلك في كلام العرب قبيح غير فصيح).

قال ابن خالوية عن الفصل بين المضايفيين في قراءة لبن عامر (هوقبيح في القرآن إنما يجوز في الشعر كقول ذي الرمة.[211]

كان أصوات من إيغالهن بنا أواخر الميس أنقاض الفراريج

[210] - ينظر الانصاف ، ج4، 422.
[211] . الخزانة ج4 ، ص341

وإنما حمل القارئ بهذا عليه : إنه وجده في مصاحف أهل الشام بالياء فاتبع الخط.

وبعد أعود الي أصل مسألتنا وأقول: إنني أرفض موقف الزمخشري من قراءة ابن عامر وتضعيفة إياه وتعسفه في إنكارها، وأقف الي جانب أبي حيان الذي أجاز هذه القراءة ونافح عنها ، كيف لا وهي قراءة سبعية متواترة يقول ابن الجرزي عن قارئها عبد الله بن عامر : لقد بلغنا عن هذا الإمام أنه كان في حلقته أربعمائة عريف يقومون عنه بالقراءة ولم يلغنا عن أحد السلف على اختلاف مذاهبهم وتباين لغاتهم وشدة ورعهم أنه أنكر على ابن عامر شيئا من قراءته ولا طعن فيها ، ولا أشار اليها بضعف ولقد كان الناس بدمشق وسائر بلاد الشام حتى الجزيرة الفراتية لا يأخذون إلا بقراءة ابن عامر.

وان كنت أحمد لأبي حيان تسليمه بقراءة بن عامر ومنافحته عنه فإني لا أحمد له إساءته للزمخشري بقوله : " وأعجب لعجمي ضعيف في النحو...".

وماذا عليه لوأنه رد على الزمخشري بمثل رده على ابن عطية وأبي علي الفارسي ، إذ رد عليهما تضعيفهما لقراءة بن عامر دون إساءة لهما ، قال: " ولا التفات الي قول ابن عطية : " وهذه قراءة ضعيفة في استعمال العرب " وقال ولا التفات أيضا لقول ابي على الفارس : (هذا قبيح قليل في الاستعمال)".

ب/ الفصل بين الصفة والموصوف:

في قوله تعالى : ﭽ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ[212]

أجاز الزمخشري أن ينتصب " قائما على أنه نعت لأسم "لا" النافية للجنس. قال في الكشاف موجها نصبه "قائماً بالقسط" : فان قلت ك هل يجوز أن يكون صفة المنفى كأنه قيل : لا إله قائماً بالقسط إلا هو؟ قلت : لا يعد ، فقط رأيناهم يتسعون في الفصل بين الصفة والموصوف.[213]

وأعترض أبوحيان على هذا الوجه الذي أجازه الزمخشري ، قال " وهذا الذي ذكره لا يجوز ، لأنه فصل بين الصفة والموصوف بأجنبي وهوالمعطوفان اللذان هما: الملائكة وأولوا العلم وليس معمولين (الشئ)[214] من جملة " لا إله الا هو" بل هما معمولان ل شهد ، وهو نظير : عرف زيد أن هنداً خارجه وعمروجعفر التميمة، فيفصل بين هند

---

[212] - سورة آل عمران ، الاية 18.

[213] - الكشاف ، ج1 ، ص 417.

[214] - زيادة يقتضيها السباق، سقطت من طبعة البحر الموجودة لدى وهي طبعة (دار الفكر) وهذه الزيادة موجودة في الدر المصون ، ج3 ، 87.

والتميمة بأجنبي ليس داخلاً فيما عمل فيها وفي خبرها وهما عمرووجعفر المرفوعان المعطوفان على زيد.[215]

المناقشة والترجيح:

من الإجابة عن الأوجه الإعرابية التي أجازها الزمخشري في نصب "قائماً بالقسط" أن يكون صفة المنفى كأنه قيل : لا إله قائماً بالقسط إلا هوواعترض أبوحيان على هذا الوجه بأنه يلزم منه الفصل بين الصفة والموصوف بأجنبي ، واعتراض أبي حيان هذا أحس به الزمخشري نفسه ،ويظهر لك من قوله : " فقد رأيناهم يتوسعون في الفصل بين الصفة والموصوف "وحقاً أنه وردت شواهد فصل فيها بين الصفة والموصوف ، كما قال الزمخشري ، ولكن الغالب في هذه الشواهد أن يكون الفاصل غير أجنبي ، فجاء الفصل بينهما بمعمول الوصف نحوقوله تعالى: (ذلك حشر علينا يسير) ونحوقول الشاعر [216]

كريم رؤوس الدار عين ضروب

---

[215] - البحر المحيط ، ج2، ص405.

[216] - هذا عجز بيت ، ينظر في ارتشاف الضرب ، ج2 ، ص 599،والنحوالوافي لعباس حسن ، ج3 ، ص435.

وجاء الفصل بينهما بالقسم نحوقوله تعالى : (أن إمرؤ هلك ليس له ولد)[217] وجملة الاعتراض نحوقوله تعالى: (إنه لقسم لوتعلمون عظيم)[218] ، وجواب القسم نحوقوله تعالى : (قل بلى وربي لنأتينكم عالم الغيب)[219]....الخ.[220]

أما في الاية المسألة (شهد الله أنه لا إله الا هو...) فإن الفاصل أجنبي ،لأن المعطوفين " الملائكة وأولوا العلم ليس معمولين لشئ من جملة " لا اله الا هو" بل هما معمولان لفعل (شهد)، ولعل ميل الزمخشري الي جانب المعني – كما وهومعروف عنه هوالذي جعله يجيز نصب (قائما بالقسط) على إنه صفة ل(اله) متساهلا عما بين الصفة والموصوف من الفصل الأجنبي ، وذلك أنه جعل (قائما) صفة للمنفي يفيد عنده أوجه من جعله حالا من فاعل (شهد) إذ يصبح " قائما بالقسط " داخلا في حكم شهادة الله والملائكة وأولى العلم ، يقول الزمخشري : فإن قلت: هل دخل قيامه بالقسط في حكم شهادة الله والملائكة وأولي العلم كما دخلت الوحدانية؟ قلت: نعم، إذا جعلته حالا من هوأونصبا على المدح أوصفة المنفي ، كأنه قيل : شهد الله والملائكة وأولوا العلم أنه لا إله إلا هووأنه قائم بالقسط.[221]

---

[217] - سورة النساء، 176.
[218] - سورة الواقعة ، الاية 77.
[219] - سورة سبا ، الاية 3.
[220] - ينظر الامور التي يفصل بها بين الصفة والموصوف في ارتشاف الضرب ، ج2 ، ص598، 599. والنحوالوافي لعباس حسن ج3 ، ص435.
[221] - الكشاف ، ج1 ، ص417.

واعتراض أبوحيان على الزمخشري يمثل أيضا منهجه في وقوفه الي جانب الصناعة النحوية وشدة المحافظة عليها 1 ،وبعد: أود أن أشير الي سهووقع لأبي حيان في هذه المسألة وذلك أن أبا حيان ذكر أن الزمخشري مثل الفصل بين الصفة والموصوف بقوله : "لا رجل إلا عبد الله شجاعاً " فليس نظير تخرجه في الآية ، لأن قولك " إلا عبد الله " يدل على الموضع من " لا رجل" فهوتابع على الموضع فليس بأجنبي ، على أن في جواز هذا التركيب نظر ، لأنه بدل و"شجاعاً " وصف ، والقاعدة أنه إذا اجتمع البدل والوصف قدم الوصف على البدل، وسبب ذلك أنه على نية تكرار العامل على المذهب الصحيح ، فصار من جملة أخرى على هذا المذهب[222] قلت: هذا سهومن أبي حيان ، لأن الزمخشري لم ينكر المثال السابق للتمثيل للفصل بين الصفة والموصوف ، بل ذكره للتمثيل للحال المؤكدة لمضمون الجملة التي قبلها وسأنقل لك كلام الزمخشري الذي ورد فيه المثال السابق ، قال الزمخشري بعد أن ذكر وجهين في نصب " قائما بالقسط ، الأول : أنه حال من فاعل " شهد" والثاني: أنه نصب على المدح ، قال : فان قلت : هل يجوز أن يكون صفة المنفي بين الصفة والموصوف ، فإن قلت : قد جعلته حالا من فاعل " شهد" فهل يصح أن ينتصب حالا عن هوفي الجملة التي هي زيادة في فائدتها عامل فيها ، كقولك : " انا عبد لله شجاعاً " ؟ وكذلك لوقلت : " لا

[222] - البحر المحيط ، ج2، ص 405.

رجل إلا عبد الله شجاعاً " وهوأوجه من انتصابه عن فاعل " شهد" وكذلك انتصابه على المدح"[223] ، ويؤكد لك ما ذهبت اليه من أن الزمخشري ذكر المثال السابق " لا رجل إلا عبد الله شجاعاً " للتمثيل للحال وليس للتمثيل للفصل بين الصفة والموصوف اتيان الزمخشري بالمثال بعد أن وجه نصب " قائما" على أنه حال مؤكدة من الضمير " هو" في " لا إله الا هو" فكأن الزمخشري ينظر للآية بالمثال السابق ، إذ الاية : " لا إله الا هو قائما بالقسط "نظير المثال ، لا رجل إلا عبد الله شجاعاً .

[223] - الكشاف ، ج1 ، ص417.

أ /عطف الجملة الإنشائية على الخبرية

قال تعالى : (فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين ، وبشر الذين آمنوا...)[224].

أجاز الزمخشري أن يكون قوله " وبشر" معطوفاً على قوله " فأتقوا النار" كما تقول : يابني احذروا عقوبة ما جنيتم وبشر يا فلان بين أسد باحساني اليهم.[225]

قال أبوحيان أجاز الزمخشري وأبوالبقاء أن يكون قوله " وبشر " معطوفا على قوله " فاتقوا النار" ليكون عطف أمر على أمر ، وهذا الذي ذهبا اليه خطأ لأن قوله فاتقوا جواب للشرط موضعه جزم ، والمعطوف علي الجواب جواب ، ولا يمكن في قوله " وبشر" أن يكون جوابا، لأنه أمر بالبشارة مطلقاً لا على تقدير إن لم تفعلوا ، بل أمر أن يبشر الذين آمنوا أمراً ليس مترتبا على شيء قبله، وليس قوله " وبشر"على إعرابه مثل ما مثل به من قوله يا بني تميم .... الي آخره ، لأن قوله " احذروا" لا موضع له من الإعراب خلاف قوله " فاتقوا" فلذلك أمكن فيما مثل به العطف ولا يمكن في " وبشر".[226]

---

[224] - سورة البقرة ، الاية 24.
[225] - الكشاف ، ج1 ، ص254.
[226] - البحر المحيط ، ج1 ، ص110.

المناقشة والترجيح :

أجاز الزمخشري أن يكون قوله تعالى " وبشر"معطوفاً على " فاتقوا النار" ليكون عطف أمر على أمر ، وذكر أبوحيان أن أبا البقاء العبكري أجاز ذلك أيضا ولم أجد رأيه في التبيان ، وخطأ أبوحيان الزمخشري وأباالبقاء العبكري في هذا الإعراب وهوعلى حق في رأيي لآن المعطوف يأخذ حكم المعطوف عليه والمعطوف عليه في الآية وهو" فاتقوا" جواب ل " إن" الشرطية فإذا عطف " وبشر" عليه كان التقدير : فإن لم تفعلوا فبشر الذين آمنوا يكون منفلتا ، والبشارة مترتبة على قوله " إن لن تفعلوا" وهوخلاف المراد ، بل أن الأمر بالبشارة ليس مترتباً على شيء قبله ، كما قال أبوحيان .

والظاهر أن جملة " وبشر الذين آمنوا " معطوفة على جملة " أعدت للكافرين" وإن كانت أولاهما خبرية والثانية إنشائية فذلك جائز وله نظائر وأجازه جماعة من النحاة ، منهم الصفار[227] وأبوحيان وابن هشام[228]، وهومذهب سيبوية كما نقل أبوحيان إلا إن ابن هشام في المغنى لم يقر أبا حيان في نسبه ذلك إلي سيبويه .

وأظن أن الزمخشري لا يجيز عطف الإنشاء على الخبر ومن ثم ذهب الي قوله " وبشر" معطوف على قوله " فاتقوا" لتناسب الجملتين إنشاء فوقع في المحذور.

---

[227] - همع الهوامع ، ج5، ص273.
[228] - المغني ، ج2 ، ص535.

للزمخشري موقف كهذا وذلك عند قوله (قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني ملياً)[229] ، قال الزمخشري فقال : إنما احتاج الي حذف ليتناسب بين جملتين المعطوف والمعطوف عليه ، وليس ذلك عند سيبوية بل يجوز عطف الجملة الخبرية على الانشائية فقوله" وأهجرني" معطوف على قوله " لئن لم تنتهي لأرجمنك" ، وأميل الي رأي أبي حيان لسلامته من الحذف ، فيكون قوله (واهجرني) عطفا على قوله (لأرجمنك) ، لا شيء في عطف الإنشاء على الخبر لوروده في القرآن الكريم كقوله تعالى : (نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين)[230] ، فقد عطف (وبشر) على (نصر من الله) وهوخبر .

[229] - سورة مريم ، الاية 46.
[230] - سورة الصف ، الاية 13.

ب / العطف على الأبعد

قال تعالى : (قل لا أجد في ما أوحي الي محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أودماً مسفوحاً أولحم خنزير فإنه رجس أوفسقاً أهل لغير الله به ...)[231]

قال الزمخشري: " أوفسقاً " عطف على المنصوب قبله ويجوز أن يكون مفعولاً له من أهل أي أهل لغير الله به فسقاً ، فإن قلت : فعلام تعطف أهل والام يرجع الضمير في به على هذا القول؟ قلت: يعطف علي يكون ، ويرجع الضمير الي ما يرجع اليه المستكن في يكون"[232]

قال أبوحيان عن الوجه الثاني الذي أجازه الزمخشري : " وهذا إعراب متكلف جدا وتركيب على الإعراب خارج عن الفصاحة وغير جائز في قراءة من قرأ (إلا أن يكون ميتة) بالرفع فيبقى الضمير في به ليس له ما يعود عليه ولا يجوز أن يتكلف محذوف حتى يعود الضمير عليه ، فيكون التقدير أوشيء أهل لغير الله به لأن مثل هذا لا يجوز إلا في ضرورة الشعر " .

المناقشة والترجيح:

أجاز الزمخشري في قوله " أوفسقاً " وجهين:

---

[231] - سورة الانعام ، الاية 145.
[232] - الكشاف ، ج2،ص 58.

الأول: أن يكون معطوفا على منصوب قبله، أي على قوله (لحم خنزير) والمعنى ، قل لا أجد فيما أوحي الي محرما ، إلا أن يكون المأكول ميتة أودما مسفوحاً أولحم خنزير أوفسقاً ، وهذا وجه ظاهر قال به الزجاج[233] ومكي بن أبي طالب[234] وابن الأنباري[235]

الثاني: الذي أجازه الزمخشري هو: أن يكون (فسقاً) مفعولاً له قدم على عامله (أهل) والفعل (أهل) معطوف علي (يكون) والضمير به في قوله (أهل به) عائد الي ما يعود إليه الضمير المستتر في يكون وعلى هذا الوجه يكون التقدير : " إلا أن يكون ميتة أودما مسفوحا.... "وهذا الوجه فيه بعد، ولنا مندوحة عنه بالوجه الأول ، وهوغير مرضي عندي لأن الأصل أن يعطف الشيء على ما يليه إلا أن يصح معناه أويدل دليل على غيره ، وفي الآية يصح عطف (فسقاً) على ما قبله ، بل هوالظاهر ، الوجه الثاني الذي أجاز الزمخشري لم يقل به ، أحد قبل الزمخشري ، وحق لأبي حيان أن يرفض هذا الوجه ويسمه بالتفلت ، ثم أن أبا حيان اعترض عليه لأنه لا يجوز على قراءة من قرأ (إلا أن يكون ميتة) بالرفع ، لأن الزمخشري أعاد الضمير في به على ما يعود اليه الضمير المستتر في يكون ، وهذا جائز في حالة نصب (ميتة) أما على قراءة رفع (ميتة) فلا يجوز ضمير مستتر في يكون حينئذ فيبقي الضمير في (به) ليس له ما يعود اليه .

---

[233] - معاني القرآن واعرابه ، ج2، ص243.
[234] - المشكل ، ج1، ص297.
[235] - البيان ، ج1، ص347.

ج / موافقة عطف البيان لمتبوعة في التعريف والتنكير

عند قوله تعالى: (ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين* فيه أيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا)[236]

قال الزمخشري: (مقام إبراهيم) عطف بيان لقوله آيات بينات ، فإن قلت : كيف صح بيان الجماعة بالواحد؟ قلت : فيه وجهان ، أحدهما : أن يجعل وحده بمنزله آيات كثيرة لظهور شأنه وقوة دلالته على قدرة الله ونبوة ابراهيم من تاثير قمة حجر صلد كقوله تعالى: (إن إبراهيم كان أمة) والثاني اشتماله على الآيات : لن أثر القدم في الصخرة الصماء آية وغوصه فيها الي الكعبين آية ، وإلانة بعض الصخرة دون بعض آية...[237]

وقال أبوحيان " لم يذكر الزمخشري في إعراب " مقام إبراهيم" إلا أنه عطف بيان لقوله " آيات بينات" ورد عليه ذلك ، لأن "آيات" نكرة " مقام إبراهيم" معرفة ولا يجوز التخالف في عطف البيان وقوله مخالف لإجماع النكرة والمعرفة فقد تبعهم في ذلك أبوعلى الفارسي ، وأما عن البصريين فلا يجوز إلاأن يكونا معرفتين ولا يجوز أن يكونا نكرتين ، وما أعربه الكوفيون ومن وافقهم عطف بيان وهونكرة على نكرة قيل أعربه البصريون

---

[236] - البحر المحيط ، ج3 ، ص9.
[237] - الكشاف ، ج1 ، ص447.

بدلاً ، والأولى والاصوب في اعراب " مقام ابراهيم" ان يكون خبرا مبتدا محذوف تقديره إحدهما أي أحد تلك الايات البينات ومقام إبراهيم أومبتدأ محذوف الخبر تقديره : منها اي من " الآيات البينات مقام ابراهيم".[238]

المناقشة والترجيح:

ذهب جمهور البصريون الي أن عطف البيان خاص بالمعارف ولا يجوعطف البيان عندهم في النكرات ، وأجازه الكوفيون[239] الفارسي وبن جنى وجماعة من التأخرين منهم الزمخشري وابن عصفور وابمن مالك ، وجوزوا ان يكون منه قوله تعالى : (من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد)[240] ف " صديد" يصح ان يكون عندهم بيانا ل " ماء" وقوله تعالى (يوقد من شجرة مباركة زيتونة)[241] ف " زيتونة" عطف بيان ل "شجرة".

وجمهور البصريون يوجدون في النكرتين السابقتين وأمثالهما البديلة يعني البدل ، أما التخالف بين عطف البيان ومتبوعه في التعريف والتنكير فلا أعلم أحدا أجازه قبل الزمخشري ، ولأجل ذلك اعترض عليه أبوحيان حين أعرب (مقام إبراهيم) عطف بيان من (آيات) وقال أبوحيان وقوله حق : (إن ما ذهب اليه الزمخشري مخالف لاجماع الكوفيين والبصريين) ، وتابع الزمخشري في أجازة التخالف بين عطف البيان ومتبوعه

---

238 - البحر المحيط ، ج3، ص9.
239 - ينظر مثلا شرح التصريح ، ج2، ص131.
240 - سورة ابراهيم ، الاية 16.
241 - سورة النور، ص35.

في التعريف والتنكير ، ، الرضي قال في (شرح الكافية) : وفرقوا بينهما (يعني البدل وعطف البيان) بعدم وجوب توافق البدل منه تعريفا وتنكيرا بخلاف عطف البيان ، والجواب تجويز التخالف في المسمى عطف بيان أيضا.[242]

وحاول ابن هشام في (المغني) ان يعتذر الزمخشري حين أعرب(مقام إبراهيم) عطف بيان ، قال " وقد يكون عبر البدل بعطف البيان ولتأخيهما ، ويؤيده قوله في اسكنوهن من حيث سكنتكم من وجدكم)[243] و(من وجدكم) عطف بيان لقوله تعالى : (حيث سكنتم) وتفسير له قال : من تبعيضيه حذف مبعضها ، اسكنوهن مكانا من مساكنكم مما تطيقون ، وإنما يريد البدل ، لأن الخافض لا يعاد إلا معه وهذا أمام النحاة سيبوية يسمى التوكيد صفة وعطف البيان صفة[244] ،وليس أميل الي اعتذار ابن هشام عن الزمخشري بأنه أراد بالبيان البدل ، لأن هذين المصطلحين متمايزان .

وقال النحاة[245]المتأخرون: إن إعراب الزمخشري لقوله تعالى " مقام إبراهيم" عطف بيان ل " آيات" يمنعه أمران:

الأول: أن هذا الإعراب ــ كما تقدم ـ يلزم منه التخالف بين عطف البيان ومتبوعه في التعريف والتنكير .

---

[242] - شرح الكافية ، ج1، ص339.
[243] - المغني ، ج2،ص636.
[244] - المغنى ،ج2، ص636.
[245] - ينظر شرح التصريح ، ج1، ص132، وينظر حاشية الشيخ يس ،

الثاني: إن هذا الإعراب يلزم منه التخاف بين عطف لبيان ومتبوعه في العدد ، لأن (آيات) جمع و(مقام إبراهيم) مفرد ، وقد أحس الزمخشري بهذا المنع فتأول " مقام إبراهيم" كما رأينا في أول المسألة بما يوافق الجمعية ، وذكر أبوجعفر النحاس ثلاثة أوجه في إعراب " مقام إبراهيم" قال " مقام إبراهيم" وحكي عن محمد بن يزيد قال : (مقام) بدل من (آيات) ، والقول الثالث بمعنى هي مقام إبراهيم[246] ، وليس بخلاف ما حكي من حكي عن محمد بن يزيد المبرد من كون " مقام إبراهيم" بما يوافق الجمعية حتى يوافق البدل منه في العدد ، وربما لحاجة هذا الوجه الي التأويل تركه أبوحيان وصوب الرأيين الآخريين وأخذ بهما كما رأينا في إعرابه ل " مقام ابراهيم" .

[246] - اعراب القرآن ، ج1، ص395،396.

اضافة المصدر الي فاعله

عند قوله تعالى: (وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال)[247].

قال الزمخشري : (وعند الله مكرهم) لا يخلوإما أن يكون مضافاً الي الفاعل كالأول على معنى ومكتوب عند الله مكرهم فهومجازيهم عليه بمكر هوأعظم منهم ، أويكون مضافا الي المفعول على معنى وعند الله مكرهم الذي يمكرهم به ، وهوعذابهم الذي يستحقونه يأتيهم من حيث لا يشعرون[248].

قال أبوحيان معقباً على الوجه الثاني الذي ذكره الزمخشري : وهذا لا يصلح إلا أن كان مكر يتعدى بنفسه كما قال هوإذ قدر (يمكرهم) والمحفوظ أن مكر لا يتعدى الي مفعول بنفسه ، قال تعالى : (وإذ يمكر بك الذين كفروا ...)[249] وتقول زيد ممكور به ، ولا يحفظ زيد ممكور بسبب كذا.

المناقشة والترجيح:

أجاز الزمخشري في قوله تعالى : (وعند الله مكرهم) وجهين:

---

[247] . الانفال ، الاية 30.
[248] - الكشاف ، ج2، ص383
[249] - الانفال ، الاية

الاول: إن يكون المكر مضافا الي الفاعل على معنى وعند الله جزاء مكرهم أومكتوب عند الله مكرهم .

الثاني: ان يكون المكر مضافا الي المفعول على معنى وعند الله مكرهم الذي يمكرهم به

اعترض أبوحيان على الوجه الثاني بأنه يستلزم أن يكون مكر متعديا بنفسه والمحفوظ أن مكر لا يتعدى بنفسه الي مفعول به، وما قاله أبوحيان حق صرح أصحاب المعاجم بأن مكر لا يتعدى بنفسه وإنما يتعدى بالباء .

الخلاف في وصف كم الخبرية

قال تعالى : (وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن...)[250]

قال الزمخشري : (هم أحسن) في محل صفة لكم ، ألا ترى أنك لوتركت (هم) بدل من نصب أحسن على الوصفية [251] ، ونقل أبوحيان كلام الزمخشري ثم قال : " ويتابعها أبوالبقاء على أن (هم أحسن) صفة لكم ، سواء نص أصحابنا على أن " كم" استفهامية والخبرية لا توصف ولا يوصف بها فعلى هذا يوكن (هم أحسن) في وضع الصفة لقرن ، ويجمع لأن القرن هومشتمل على أفراد كثير " فروعي معناه ، ولوأفرد الضمير على اللفظ لكان عربياً "[252]

المناقشة والترجيح:

أعرب الزمخشري جملةو(هم أحسن) في محل نصب صفة ل " كم " وتابعه أبوالبقاء العبكري ، واعترض عليهما أبوحيان بأن " كم" لا توصف ولا يوصف بها ، أما جملة (هم أحسن) فهي في موضع الصفة لقرن ويجمع الضمير حملا على المعني،لأن القرن مشتمل على أفراد كثيرة واعترض أبوحيان مؤيدا بأن النحاة[253] نصوا على أن " كم"

---

[250] - سورة النحل ، الاية 45.
[251] - البحر المحيط ، ج6، 210.
[252] - البحر المحيط ، ج6، ص210.
[253] - ينظر ارتشاف الضرب ، ج12، ص595، وهمع الهوامع ، ج5، ص177، والنحوالوافي لعباس حسن ، ج6، ص210.

الخبرية توصف ولا يوصف بها ، قال : لأن " كم" متوغلة في البناء وكل اسم متوغل في البناء لا يوصف ولا يصف به كأسماء الشرط وأسماء الاستفهام " كم الخبرية" و" ما" التعجبية والان ، وإعراب الزمخشري فيه خروج عن إجماع النحاة ولنا مندوحة عنه بأن نعرب جملة (هم أحسن) صفة لقرن كما قال أبوحيان ووافقه ابن هشام في (المغني) قال: قال الزمخشري وأبوالبقاء " كم أهلكنا قبلهم من القرون هم أحسن : أن الجملة بعد " كم" صفة لها الصواب أنها لقرون وجمع الضمير حملا على معناه...[254]

[254] - امغني ، ج2، ص650.

الخاتمة

الحمد لله في البدء والختم والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبة ومن تبعهم بإحسان .

قد دفعني كثرة تعقبات أبي حيان للزمخشري وتتبعه لأقواله إلى التفتيش عن أسباب ذلك ، فظهر لي من الدراسة مسائل الخلاف بينهما جملة من الأسباب:

1) الزمخشري ميال إلى المعنى ، فهويميل إلى الإعراب الذي يخدم المعنى وإن كان مرجوحاً من حيث الصناعة النحوية ، على حين أن أبا حيان يميل إلى جانب الصناععة النحوية ولا يرضى أن نخندش أصول الصناعة على حد تعبيره.
2) أبوحيان حفي بآراء سيبويه وشديد التعصب له وكثير الإعجاب به ، وفي سبيل هذا الإعداب خاصم ابن تيمية مع أنه كان شديد الإطراء له . وقد رأيته في (البحر المحيط) يحكّم رأي سيبويه في قبول أورفض رأي الزمخشري / فيكفيه في رأي الزمخشري أن يقول : "ما ذهب إليه خلاف مذهب سيبويه"
3) ربما فهم أبوحيان رأي الزمخشري في بعض المسائل على غير وجهه ، فيعترض عليه بناءً على فهمه ما استقامة رأي الزمخشري.

4) تسرع أبي حيان في إصدار بعض الأحكام ، فقد يرد رأي الزمخشري في بعض المسائل زاعماً أن الزمخشري تفرد بذلك الرأي ولم يسبقه إليه أحد , وبالرجوع إلى مظان المسألة يتبين أن الزمخشري تابع لغيره ومسبوق إلى ذلك الرأي.

5) الزمخشري نحوي بلاغي ، وهويستخدم في (الكشاف) بعض مصطلحات البيانيين التي تخالف مصطلحات النحاة ، فيعترض عليه أبوحيان.

6) الزمخشري وأبوحيان بصريا المذهب وقد يأخذان بمذهب الكوفيين ، إلا أن الزمخشري أكثر قبولاً لمذهب الكوفيين من أبي حيان ، وقد أخذ بمهبهم في بعض مسائل هذا البحث فاعترض عليه أبوحيان وقد أخذ بمذهبهم في بعض مسائل هذا البحث وفاعترض عليه أبوحيان بأن ما أخذ به ليس مذهب البصريين ويقول عن رأيه إنه نزعة كوفية

7) مخالفة الزمخشري في بعض المسائل للمذهبين البصري والكوفي كانت سبباً في اعتراض أبي حيان عليه ولذا نرى أبا حيان كثيراً ما يعيب على الزمخشري مخالفته لمذهب البصريين والكوفيين.

8) أبوحيان ظاهري المذهب ، وقد أثر ذلك على مذهبه النحوي فهوشديد التمسك بظاهر النصوص ، على حين أن الزمخشري لا يتقيد كثيراً بالظاهر وهوكثير التجوز في كلامه ومصطلحاته النحوية فيعترض أبوحيان على هذه التجوزات.

9) القرآن الكريم كتاب معجز ، وهوجمال أوجه فقد تحتمل الكلمة أكثر من وجه إعرابي فيأخذ الزمخشري بوجه ويأخذ أبوحيان بوجه آخر.

10) قد تحمل الكلمة إعرابين فيكتفي الزمخشري بالمشهور منهما فيتقبه أبوحيان بأن ذلك الإعراب غير متعين ، ويذكر الإعراب.

11) اختلاف موقفهما من القراءات فالزمخشري اتبع منهج القدامى في نقد القراءات ،أما أبوحيان فلم يرض عن هذا المنهجً ووقف إلى جانب القراءات ودافع عنها ورد على نقدها.

12) اخضاع الزمخشري بعض لآيات لخمة مذهبه الاعتزالي .

ومهما يكن من أمر تعقبات أبي حيان وقسوته على الزمخشري في بعض الأحيان فإن هذه التعقبات أثرت الفكر النحوي ، وأسهمت في خدمة كتاب الله عز وجل وإعرابه آية على أفضل الوجوه التي تليق بمكانة قدسيته.

فجزى الله الإمامين الجليلين الزمخشري وأبا حيان أفضل الجزاء يوم الفصل والجزاء .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم الأنبياء وسيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

التوصيات

1) الانتباه أكثر إلى هدا النوع من الدراسات وذلك لأن الاعتراض والرد على الآراء خاصة الراسخ منها في الأذ هان يضيء جوانب خفّية ما كانت لتنجلي لولا دراسات من هذا النوع .

2) ضرورة أن تدرج مثل هذه الدراسات ضمن مقررات الكلّيات المتخصصة في اللغة العربّية وآدابها.

قائمة المصادر والمراجع:

1. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ط دار المعرفة بيروت (ب د ت).

2. المحاكمة بين أبي حيان وابن عطية والزمخشري ليحي الشاوي مخطوط ، المكتبة الازهرية رقم 1254.

3. البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، ط2، 1403هـ.

4. التبيان في إعراب القرآن للعبكري تحقيق ، د. طه عبد الحميد الحميد ، ط القاهرة 1969.

5. إعراب القراءات الشواذ للعبكري ط دار الكتب المصرية.

6. الوافي بالوفيات للصفدي ط جمعية المستشرقين الالمانية.

7. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي تحقيق د.أحمد محمد الخراط ، دار القلم دمشق 1406هـ.

8. الدر اللقيط من البحر المحيط لابن مكتوم بهامش البحر المحيط دار الفكر بيروت ، ط2 1403هـ.

9. ارتشاف الضرب من لسان العرب لابي حيان الاندلسي تحقيق د. مصطفى أحمد النماس ، القاهرة 1404هـ.

10. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع للسيوطي تحقيق د. عبد العال سالم مكرم دار البحوث العلمية الكويت.

11. أبوا حيان النحوي خديجة الحديثي مكتبة النهضة بغداد ط 1385هـ.

12. معجم الأدباء لياقوت الحموي مطبوعات دار المأمون القاهرة 1355هـ.

13. إنباه الرواه علي أنباه النحاة للقطفي تحقيق محمد أبوالفاضل إبراهيم ، دار الفكر العربي بالقاهرة ط1 ،1046هـ.

14. النشر في القراءات العشر لابن الجزري دار الفكر.

15. ديوان أبي حيان الاندلسي تحقيق د. أحمد مطلوب ود. خديجة الحديثي مطبعة العاني بغداد ط1 ، 1388هـ.

16. وفيات الأعيان لابن خلكان تحقيق الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد مكتبة النهضة المصرية.

17. النحوالوافي لعباس حسن ، دار المعارف المصرية ، ط3 1973م.

18. فهرس الفهارس للكتاني تحقيق د. احسان عباس دار الغرب الاسلامي ،ط2 ، 1402هـ

19. الإنصاف في مسائل الخلاف ، لأبي البركات الأنباري تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر بيروت.

20. إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم لآبن خالويه ، دار الكتب بيروت ، 1406هـ.